



خواطر من أدب الأمثال
تناقضات وغرائب
في زمن العجائب

- خواطر من أدب الأمثال (تناقضات وغرائب في زمن العجائب)
- عبدالله شمس الدين
-   amthal_proverbs
- الطبعة الأولى 2022
- الكويت

جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو أي جزءٍ منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكلٍ
من الأشكال دون إذنٍ خطيٍّ مُسبقٍ من الناشر.

All Rights Reserved. No part of this book may be
reproduced, stored, in a retrieval system, or by any means
without the prior written permission of the publisher.



 darrwajd@gmail.com   @darwajd

الردمك: 5 - 81 - 953680 - 1 - 978

خواطر من أدب الأمثال

تناقضات وغرائب في زمن العجائب

(هكذا علموني وهكذا يفعلون - سامحني كنت صغيراً -

لم يعلم أنني أقصد)

بقلم

عبدالله شمس الدين

طبعة مزيدة ومنقحة

2022



دار وجد
للنشر والتوزيع



الإهداء

إلى كل مظلوم يائس
إلى كل من أصابه همٌّ وغمٌّ مزمن
إلى كل من ظلم باسم الفضيلة وقلب الموازين
إلى كل من لم يباشر الظلم وإنما صقّ له
إلى كل من تغيّرت مبادئه وما زال ضميره يؤنّبهُ
إلى كل من أساء التعبير بقصد أو من دون قصد
إلى كل من ردّ على سفيه بردّ غامض
إلى كل سفيه لم يفهم ردّ المؤدب عليه وحسبه «أهبل»
إلى هؤلاء جميعًا ولكل من يرغب معرفة المزيد عنهم
وعن أحوالهم؛ أهدي خواطري هذه آملًا أن تحوز
إعجابكم، ولا أستغني عن ملحوظاتكم.

محبكم / المؤلف



تقديم وتنويه هام

ليس بالضرورة أن يكون كاتب هذه الخواطر قد مرّ بما ذكر في الكتاب؛ فأحياناً يتقمّص الكاتب دور شخصية معينة، ويحاول أن يعيش دورها ويشعر بمشاعرها، ثم يكتب بلسان هذه الشخصية أو الشخصيات.

خواطر «هكذا علّمني وهكذا يفعلون» تتكلم عنمن يدعو الناس أن يعملوا بالفضيلة والأخلاق الحسنة، لا سيما معه، لكنه في التعامل مع الآخرين عكس ذلك تمامًا، فلا يعاملهم إلا بالسوء وإساءة الظن. وحاشا لله أن يكون المقصود منهم أهل الفضل من المعلمين والمصلحين ومن سار على دربهم، فاحومهم مسمومة، والخطأ مغمور في بحر حسناتهم. وإنما المقصود من يهتم ويطالب بحقوقه باسم الأخلاق الحسنة والفضيلة، ثم لا يعطي الناس حقوقهم متعللاً بتبريرات مضحكة في كثير من الأحيان. وصحيح أن الخطأ قبيح، لكن الأفتح منه من يلصقه بالفضيلة، ويتخذ هذه الأطباع منهجاً دائماً في حياته حتى يُعرف بأنه لعاب ومتناقض، ويأمر بالفضيلة وينهى عن الرذيلة حسب الموقف الذي يكون من صالحه وبصفه.

وسبب هذا التنويه: حتى لا يُساء الظن في كاتب هذه السطور، فيُظن أنه يقصد أهل الفضل، مما يضطر أن يصدر لاحقاً توضيحاً في ذلك، وكما يقال: (خير الكلام ما لا يحتاج بعده إلى مزيد من الكلام أو التوضيح).


أما خواطر «سامحني.. كنت صغيراً» جاءت على لسان من غيرت مبادئه وما زال ضميره يؤنبه؛ يحكي لنا ما مرّ فيه من مرحلتين نقيضتين في حياته.

وأما خواطر «لم يعلم أنني أقصد» تتكلم عن ردود غامضة قالها خلوق؛ أساء التعبير في بعض الأحيان من دون قصد وفُهم خطأ، وفي أحيان أخرى كان متعمداً؛ لأنه يردّ على سفيه بطريقة مؤدبة، لكنها غامضة، مما جعلت السفيه لا يفهم قصد الخلوق.

جعلت الكلام في هذه الخواطر بتركيبة أمثال وتعابير شعبية مقارنة،⁽¹⁾ وأشعار،⁽²⁾ وحكم، بقدر المستطاع.

عبد الله شمس الدين
الكويت

-
- (1) المقصود بالمقارنة: من دول عربية مختلفة. ولتشابه المثل بين الدول؛ أكتفي أحياناً بقولي: دارج في دول عربية مختلفة، أو شبه الجزيرة (الخليج العربي). وليعلم أن لكل كتاب مقصداً، وليس المقصد من هذا الكتاب هو التحليل والبحث في ألفاظ المثل وحروفه، ومنشئه، وتقاليب الأحرف ونحوها، وإنما وضعت حاشية ميسرة في شرح بعض المفردات بقدر الإمكان من دون إكثار ممل. والقصد من هذا الكتاب أخذ الحكمة والاعتبار، بما يمر به المرء في الليل النهار.
- (2) لم أحرص في عزو الشعر إلى قائله غالباً، وإنما في كثير من الأحيان أقول (قال الشاعر)، والسبب في ذلك أن المقصد من هذا الكتاب أخذ الحكمة والعبرة بغض النظر عن قائله، فهذه ليست دراسة نقدية أو نحوها.



**هكذا علموني
وهكذا يفعلون**



مقدمة

قد يقول المرء قولاً ويخالفه، وهذه طبيعة البشر؛ فمن ذا الذي ما ساء قط، ومن ذا الذي له الحسنى فقط؟

ولكن يقبح جداً عندما يتخذ صاحب هذه الطريقة منهجاً في حياته، ويؤذي به خلقاً كثيراً، ويصر على ذلك بعد كل وسائل التنبيه، سائراً في دربه دون مبالاة. وليس المقصود من كلامي التعميم، وإنما ذكر بعض النماذج التي رأيتها وعاشتها، يا صديقي.

وحينما أقول: «يا صديقي»، لا أعني صديقاً من أصدقائي بعينه، وإنما هو تعبير فيه تلطيف للمنادى. والصديق في اللغة: المبالغ في الصدق.⁽¹⁾

فإن أعجبك كلام الحق ولكنك تألمت منه، فاعلم أنه تمت معاملتك بهذا الأسلوب.

وإن لم يعجبك كلام الحق، فاعلم أنك فعلت شيئاً مخالفاً مبغوضاً، أو أنك لا تحب المتكلم لأسباب شخصية. وكما يقولون: «اللي على راسه بطحة يحسس عليها».⁽²⁾

(1) يُنظر لسان العرب، مادة (صدق).

(2) مثل مصري ودارج في كثير من الدول العربية. اللي: الذي. بطحة: ورم أو جرح في الجبهة أو الرأس. يحسس: يلمس. معنى المثل: من كان على رأسه ورم أو جرح فإنه يحسس عليها. يضرب لمن يشك في نفسه عندما يتكلم الناس عن موضوع معين.

فأقول لهؤلاء: «اللي مو عاجبه ينتف حواجه»⁽¹⁾.
باختصار: هكذا علموني.. وهكذا يفعلون!

(1) تعبير دراج في الكويت، ولعله معاصر. اللي: الذي. الذي: ليس. معنى التعبير: الذي لا يعجبه ذلك الشيء، فعليه أن ينتف حواجه قهراً. يضرب للشخص الذي لا يعجبه شيء ما بأن ينتف حواجه قهراً وندماً على ما يحصل.

حقيقة الناس

علموني أن الناس أجناس، فناس كالأناس،⁽¹⁾ وناس ولا ناس!
نعم.. جعلوني أتيقن ما ذكره الميداني قبل أكثر من ألف سنة أنه قال: (ذهب
الناس وبقي النسناس).⁽²⁾ وتيقنت ما قالوا في الأمثال الكويتية: (راحت
رجال ترفع الدروازة، ظلت رجال المطنزة والعازة)⁽³⁾.. إلا من رحم الله.
وعلموني أن أحكم بالظاهر، وهذا حق، فقالوا: فلان (اللي بقلبه
على لسانه)⁽⁴⁾ لكن سرعان ما تفاجأت أنه:

يعطيك من طرفِ اللسانِ حلاوةً

ويروغُ منك كما يروغُ الثعلبُ

فقلت بعدها؛ صدق أهل البحرين حينما قالوا: (لا يغرك ملابسسه،
تري كرشته يابسة).⁽⁵⁾

(1) الأناس: كناية عن صاحب الأخلاق الجميلة.

(2) النسناس: نوع من القردة، صغير الجسم طويل الذنب.

(3) الدروازة: الباب أو البوابة. المطنزة: الضحك. العازة: من العوز وهي الحاجة. معنى
المثل: ذهب الطيبون وبقي الأشرار. يضرب عندما يكثر أهل الباطل، فهو من باب
التغليب، أو من باب التشاؤم.

(4) تعبیر دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. معنى التعبير: ما كان في قلبه يظهره
على لسانه. يضرب حسب السياق، لكن هنا يضرب للشخص الصريح وسليم النية
والمقصد، ولا يظهر منه خبث أو نحوه.

(5) مثل بحريني. ترى: كلمة تنبيه ولعلها مأخوذة من تراءى. كرشته: كرشة: البطن
العظيم. معنى المثل: لا يغرك ملابسسه وستره لبدنه، فبطنه يابس كبير. يضرب
للشخص الذي يظهر خلاف ما يبطن.

وعلموني أن «كل الناس خير وبركة» ولكن نبهني صديق قائلاً:
كنت مثلك.. «كنت أظن كل الناس خير وبركة بس طلعت أنا يللي
على البركة»⁽¹⁾

قال ابن الوردي في لاميته:

ماتَ أهلُ الفضلِ لم يبقَ سوى
مقرِفٍ أو من على الأصلِ اتكلُ

وقال الشاعر:

قدمات كلُّ نبيلُ
وميات كلُّ نبيهِ
وميات كلُّ أديبِ
وفاضلٍ وفقيهِ
لا يوحشُنك طريقُ
كلِّ الخلائقِ فيهِ

(1) مثل شامي. يللي: يا الذي. معنى المثل: كنت أظن كل الناس على خير وبركة، ولكن تبين أنني المغفل الذي لا أعرف شيئاً. يضرب للشخص الذي يحسن الظن بالجميع من دون استثناء ثم يتفاجأ بمن يخيب ظنه.

الشكوى ومساعدة الآخرين

علموني أن «خادم الله مخدوم»،⁽¹⁾ وكما يقول أهل مصر: «من خد وادى صار المال ماله، ومن خدم الناس صارت الناس خدامه». ⁽²⁾ فلا حاجة بعد ذلك لأن أذل نفسي وأسأل الناس، هكذا زعموا.. ولكن واقعهم أنهم إذا «سأل أحدهم ألحف، وإذا سُئل سوّف». ⁽³⁾

وعلموني ألا أشتكي لهم لأن «الشكوى لله»، واعتادوا أن يشتكوا ويتذمروا لأن «الحقوق يبيلها حلو»،⁽⁴⁾ وقالوا: ألم تسمع قول الشاعر:

ولا بدّ من شكوى إلى ذي مروءةٍ

يواسيكَ أو يسليكَ أو يتوجعُ

وعلموني أن أعتمد على نفسي وألا أطلب العون من أحد؛ لأن «ما يحك ظهرك إلا ظفرك». ⁽⁵⁾ ولكنهم سرعان ما احتاجوا للمساعدة،

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: من خدم الناس، خدمه الناس. يضرب للحث على خدمة الآخرين.

(2) خد: أخذ. ادى: أعطى. وهو شبيه بالمثل السابق الذكر.

(3) مثل فصيح ذكره الميداني في معجم الأمثال، وقال: (قاله عون بن عبد الله بن عتبة في رجل ذكره). ألحف: أي: ألحّ بالمسألة. سوّف: ماطل.

(4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. يبيلها: يحتاج إلى، ولعل كلمة «يبي» اختصار لكلمة «يبغي». حلو: جمع حلق، والمقصود هنا اللسان. معنى المثل: الحقوق تحتاج إلى السنة للمطالبة بها. يضرب للمطالبة بالحق المسلوب.

(5) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية وفي بعض الأوطان العربية بألفاظ متقاربة. ظهرك: تصغير ظهر. ظفرك: تصغير ظفر. معنى المثل: لا يحك ظهرك بالطريقة السليمة مثل أظفارك. يضرب نصيحة وحثاً للشخص أن يقوم بأعماله بنفسه.

فقالوا معللين «اليد الواحدة ما تصفق»⁽¹⁾.

رغم أن «اليد الواحدة ما تصفق»⁽²⁾ إلا أنك تضطر أحياناً أن تحاول ذلك باليد الواحدة لأن بالفعل «ما يحك ظهرك إلا ظفرك»⁽³⁾.

وعلموني أن أحفظ ماء وجهي، وهم لا يحفظونه، فيقولون مبررين: (إذا كان لك حاجة عند الكلب قوله يا سيدي)⁽⁴⁾.

نعم يا أصدقائي.. علموني أن «الشكوى لغير الله مذلة»، فإن سألت أحدهم قال لي: «احفظ ماء وجهك». وهم يركضون وراء

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. الوحدة: الواحدة. معنى المثل: لا يمكن لليد الواحدة أن تصفق، لأنها بحاجة إلى يد أخرى. يضرب نصيحة للشخص كي يتعاون، أو يضرب لبيان سبب حال ضعفه الذي يمر به وهو عدم وجود من يتعاون معه.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. الوحدة: الواحدة. معنى المثل: لا يمكن لليد الواحدة أن تصفق، لأنها بحاجة إلى يد أخرى. يضرب نصيحة للشخص كي يتعاون، أو يضرب لبيان سبب حال ضعفه الذي يمر به وهو عدم وجود من يتعاون معه.

(3) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية وفي بعض الأوطان العربية بألفاظ متقاربة. ظهرك: تصغير ظهر. ظفرك: تصغير ظفر. معنى المثل: لا يحك ظهرك بالطريقة السليمة مثل أظفارك. يضرب نصيحة وحثاً للشخص أن يقوم بأعماله بنفسه.

(4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية وكثير من البلاد العربية بألفاظ متقاربة. قوله: قل له. والمقصود بالكلب: الشخص الدنيء أو النذل أو الحقير الذي لا بد وأن تتعامل معه لظروف تجبرك على التعامل معه وعدم وجود شخص بديل. معنى المثل: إذا كانت لك حاجة عند الشخص النذل أو الدنيء، فقل له: يا سيدي. يضرب للمعاملة والتعامل الحسن مع الشخص الدنيء حتى تنتهي مصلحتك منه.

كل من هبّ ودبّ حتى أن ماء وجوههم انسكب على الأرض كله،
وحجتهم: «اللي ما له كبير يجيب له كبير».⁽¹⁾

وعلموني أن أقتنع بما آتاني الله لأن «من طمع طبع»،⁽²⁾ أما بالنسبة
لهم فقد اعتادوا على طلب المزيد؛ لأن فضل الله بلا حدود، فكيف
نسأله شيئاً محدوداً؟

وعلموني «ريد الخير لजारك بتلاقيه في ديارك».⁽³⁾ ولكنهم لا
يعملون الخير بحجة أنهم غير حمقى. ويقولون: من الأحق الذي
«يسوي خير ويقطه بحر»؟⁽⁴⁾

نعم يا أصدقائي.. علموني في نهاية المطاف أن خدمتهم بلا
مقابل تعد حمقاً، لذلك أطلقوا على من خدمهم بلا مقابل بأن «ريبتة

(1) مثل دارج في الشام ومصر وبعض البلاد العربية، وبعضهم يقول: (يشترى) بدلاً
من (يجيب). اللي: الذي. كبير: استعارة عن صاحب منصب أو جاهة أو نحوه.
يجيب: يأتي. معنى المثل: الذي ليس له سند أو معين فإنه سيأتي بواحد. يضرب
للشخص الذي وقفت أمامه عقبة من فعل شيء ما، فيضطر أن يستعين بأحد
ليخلص له أموره.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. طبع: طبعت السفينة، أي: غرقت. معنى المثل:
من طمع فإنه يهلك. يضرب للتحذير من الطمع.

(3) مثل شامي. ريد: أرد. بتلاقيه: ستلقاه. معنى المثل: من فعل الخير سيجد ثمرته على
نفسه أو على من يحب من أقارب ونحوه. يضرب حثاً على فعل الخير.

(4) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. يسوي: يعمل. يقطه: يرميه. معنى المثل: يعمل
الخير ويرميه في البحر. وهل المقصود برميه في البحر أن الخير لن يأتيه مرة أخرى؟
أم المقصود: لا تبال فإن الله لن يضيع أجرك؟ يحتمل الأمران، إن قصد قائله بمعنى
الاحتمال الأول، فهو خطأ شرعي بلا شك لأن الله لن يضيع أجر من أحسن عملاً،
وكل قائل وحسب نيته. يضرب للشخص أن يعمل الخير وينساه.

ناقصة». (1) وأما العقلاء علموني: صاحب الخير مأجور، و«خادم الله مخدوم»، ولكن «كلُّ يرى الناس بعين طبعه». (2)

وما أجمل قول المتنبي:

ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ

يجدُ مرّاً به الماءَ الرُّزُّ لالا

وعلموني ألا أطالب بحقي إن ظلمت، ف«إذا خصمك القاضي من تقاضي؟». (3) ولكنهم يقلون أدبهم على من بخسهم فلساً واحداً، ويقولون «اللي ما له لسان ياكله الخنفسان»، (4) و«ما يضيع حق وراه مطالب». (5)

(1) كناية دارجة في شبه الجزيرة العربية. ربية: عملة هندية كان الناس يتعاملون بها في الكويت وبعض أنحاء الجزيرة العربية قديماً. ومعنى ربيته ناقصة: كناية عن نقصان العقل.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: كل شخص يرى أفعال الآخرين بحسب طبعه من الخير أو الشر، فالطيب إن رأى طيباً يفعل الخير مدحه، والخبث إن رأى طيباً يفعل الخير ذمه وقدح فيه واتهمه بعدة اتهامات، ويرجع ذلك إلى سوء نيته. يضرب للشخص المؤيد أو الرافض لقول أو فعل ما.

(3) مثل دارج في الكويت بهذا اللفظ، ودارج في مختلف أنحاء الوطن العربي بألفاظ متقاربة. معنى المثل: إذا كان خصمك صاحب سلطة أو منصب وله شأن في البلد، فماذا ستفعل؟ يضرب للشخص الضعيف يواجه قوياً.

(4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. ياكله: يأكله. الخنفسان: الخنفسة أو الخنفساء. معنى المثل: الذي لا يتكلم ولا يطالب بحقه فإن أحقر مخلوقات الله ستتناول عليه. يضرب للمطالبة بالحق وعدم السكوت.

(5) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. وراه: وراءه. مطالب: طالب، أي: من يطلب. معنى المثل: لا يضيع حق وراه شخص يسأل عنه ويطالب به ويشاير بأخذه واسترجاعه. يضرب حثاً للشخص أن يأخذ حقه بالسعي إليه.

وعلموني ألا أشتكى على أحد إن ظلمت وقالوا «قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق»⁽¹⁾ وهم يقطعون الأعناق فوراً لأن «الساكت عن الحق شيطان أخرس»⁽²⁾.

لا تغضبوا مني ولكن.. أليس هذا الواقع؟

-
- (1) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى التعبير: اقطع العنق ولا تقطع الرزق بإعفاء الشخص عن العمل أو الخصم من مرتبه أو نحو ذلك. يضرب نصيحة للشخص ألا يعاقب أحدًا. وإطلاقه على العموم خطأ، لما فيه من تضييع حقوق الآخرين، فمحاسبة المقصر واجبة لا سيما إن استمر على ذلك.
- (2) مثل عربي قديم، ويصح باعتبار ولا يصح باعتبار آخر. فأحياناً يجب السكوت ولا ينبغي الكلام إن جرّ الأمر بالمعروف وإنكار المنكر إلى منكر أعظم.

القناعة

علموني «مد رجولك على قدر لحافك»،⁽¹⁾ وهم يعكسونها في حياتهم ف«يبدون لحافهم على قدر رجولهم» بأخذ الديون ووضع الأقساط التي لا تطاق.

وصدق من قال:

العبدُ حرٌّ ما قنعَ

والحرُّ عبدٌ ما طمعَ

وعلموني أن أكل على قدر استطاعتي، فقالوا: (كل طير يشبعه منقاره).⁽²⁾ ولكنهم يأكلون بلا حدود وإن كان بالحرام، ويحتجون: (إن عشقت اعشقت قمر، وإن سرقت اسرق جمل).⁽³⁾

نعم.. علموني أن أعود على الأكل على قدر حاجتي لأن «فرح في

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. رجولك: جمع رجل. قد: قدر. معنى المثل: مد رجلك على قدر لحافك الموجود. يضرب للشخص ألا يطمع وأن يقتنع بما عنده فيشتري بما يستطيع ويعيش حياته بقدر استطاعته.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: كل طير يكتفي بما يأكله بمنقاره. يضرب للشخص الذي يأكل على قدر حاجته، فهو أعلم بحاجته للأكل من غيره.

(3) مثل دارج في مصر وفي بعض الدول العربية بألفاظ مختلفة. قمر: استعارة عن البنت الجميلة. وجمل: استعارة عن الشيء الثمين. معنى المثل: إن عشقت فاعشقت الجميلة التي تغنيك عن النظر إلى جمال غيرها، وإذا سرقت فاسرق الشيء الثمين. يضرب المثل لانتهاز الفرصة لاقتناص الشيء المميز الكثير النفع.

التم عزا في البطن»،⁽¹⁾ وفي المقابل اعتادوا أن يأكلوا بلا شبع، فقالوا «الرجل بلا كرش كالملك بلا عرش».⁽²⁾

وعلموني أن «قليل أغناك خير من كثير أطعناك»، وفي المقابل يتعاملون بالربا وغيرها من المعاملات المحرمة من أجل الغنى. وقد ذكروني بالمثل: (اللي يسمع كلام الناس ما ينفعش، واللي ياكل حرام ما يشبعش).⁽³⁾
وصدق من قال:

أطعتُ مطامعي فاستعبدتني

ولو أني قنعتُ لكنتُ حرًّا

وعلموني ألا أخاف مما كتبه الله لي في المستقبل وأن أرضى بالواقع وأستسلم، وقالوا: (اللي أنت خايف منو ما يجيش أحسن منو).⁽⁴⁾

(1) مثل شامي. التم: الفم. عزا: عزاء. معنى المثل: من أكل كثيرًا وفرح بذلك فإنه سيصيبه ألم في بطنه. يضرب للأكل بقدر الحاجة وعدم الإسراف.

(2) دارج في كثير من الدول العربية. كرش: البطن الكبير. معنى المثل: الرجل بلا مظهر جيد كالملك الذي ليس له عرش. واختاروا «الكرش» بالذات لأنه دلالة على الغنى والسعة قديمًا، وربما حديثًا أيضًا في بعض الدول بحسب أعراف البلد.

(3) مثل مصري. اللي: الذي. ينفعش: ينفع. ياكل: يأكل. يشبعش: يشبع. معنى المثل: لا ينفع أن تأخذ آراء الناس في كل شيء، ومن تعود على أكل الحرام فإنه لن يترك هذه العادة إلا أن يشاء الله. يضرب لبيان حال أو تحذير من يأخذ آراء الناس ويعمل بها من دون تفكير، وكذلك بيان أو التحذير ممن يأكل الحرام، فإنه لن يتركه إلا أن يشاء الله، ويتوب فيتوب الله عليه.

(4) مثل مصري. اللي: الذي. منو: منه. خايف: خائف. يجيش: يأتي. معنى المثل: الذي تخاف من وقوعه فلن يحصل أحسن مما اختاره الله لك، وفيه إحسان الظن بالله وإشارة إلى حديث: (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير). يضرب لإحسان الظن بالله.

وهم يعكسونها في حياتهم فيخافون بأخذ الأسباب والحيلة والحذر
قائلين: (من خاف سلم).⁽¹⁾

آه يا صديقي.. بغيتك عون طلعت فرعون⁽²⁾.. إي والله.. حسبتك
موسى طلعت فرعون!⁽³⁾

فأحياناً لو كتم المرء مشاعره لكان أفضل، كما قال الشاعر:

لا تشك للناسِ جُرْحًا أنتَ صاحبه

لا يؤلم الجرحَ إلا مَنْ به ألمٌ

شكواك للناسِ يا ابنَ الناسِ منقصةٌ

ومَنْ من الناسِ صاحٍ ما بهِ سقمٌ

فالهَمُّ كالسَّيلِ والأحزانِ زاخرةٌ

حمرُّ الدلائلِ مهما أهلها كَتفوا

فإن شكوتَ لمن طاب الزمان له

عيناك تغلي ومن شكوتَ له صنمٌ

وإذا شكوتَ لمن شكواك تُسعدُه

أضفتَ جُرْحًا لجرحِك اسمُه الندمُ

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: من خاف احتاط ومن احتاط سلم من الشر غالباً. يضرب لأخذ الحيلة.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. بغيتك: أردتك. فرعون: استعارة عن الشخص الظالم المتجبر. معنى المثل: أردتك عوناً لي فصرت تزيدني همّاً وتعباً. يضرب للشخص الطالح الذي ظن فيه صلاحاً.

(3) مثل دارج في مصر والسودان. موسى: استعارة عن الرجل الصالح. وهو شبيهه بالمثل السابق الذكر.

نعم.. علموني أن أستسلم للواقع لأن «الخير فيما اختاره الله»،
والله لا يكتب إلا الخير. وفي المقابل اعتادوا على بذل الأسباب لتغيير
ما يزعجهم من ظلم أو نحو ذلك لأن «ما يرضى بالجور إلا الثور»..
وحيثما واجهتهم قالوا: «من قال لك أن تصدقنا؟ حقاً إنك ثور!»!

لا تلعبوا بالنصوص يا أصدقائي.. أين أنتم من «قط الخيط وعلى
الله الصيد»؟⁽¹⁾ أليس بذل الأسباب له أدلة شرعية.. و«الخير فيما
اختاره الله» لا يقال إلا بعد الانتهاء من بذل الأسباب، ولا يقال قبله
لتجعل صديقك يتقاعس عن العمل، فيكون معنى الكلام لأجل تخذيل
أصحابك وأحبابك!

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. قط: ارم. الخيط: ما يصطاد به السمك. معنى
المثل: ارم الخيط والله يرزقك الصيد. يضرب لبذل الأسباب.

العمل

عَلِّمُونِي أَنْ أَكُونَ مَخْلَصًا فِي عَمَلِي لِأَنَّ «العمل عبادة»، وهم لا يلتزمون بالعمل خشية أن يتحملوا المسؤولية، فقالوا: «لا تنام بين القبور ولا تشوف منامات وحشة».⁽¹⁾

نعم.. هل تصدقون أنهم عَلِّمُونِي أَنْ أَكُونَ مَخْلَصًا فِي الْعَمَلِ وَأَلَّا أَلْتَفْتُ لِلْمَالِ لِأَنَّ «الفلوس وسخ دنيا»، وحينما جاء الأمر إليهم أهملوا أعمالهم باحثين عن أموال أكثر بأي طريقة كانت وبحجة «اللي ما عنده فلس ما يسوى فلس»،⁽²⁾ و«اللي ما عندوش قرش ما يسواش قرش».⁽³⁾

وعَلِّمُونِي أَنْ أَبْذُلَ قِصَارَى جَهْدِي مِنْ دُونَ مَلَلٍ أَوْ كَلَلٍ، وَأَلَّا أَكُونَ مِمَّنْ يَتَهَرَّبُونَ عَنِ الْعَمَلِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ، فَقَالُوا: «اتعب تلعب».⁽⁴⁾ وهم لا يعملون إلا قليلاً ويقولون «قليل دائم خير من كثير منقطع».

ولا زلت أتساءل.. لماذا يحلّلون أشياء لأنفسهم ويحرمونه على الآخرين؟

(1) مثل شامي. تشوف: ترى. وحشة: سيئة. معنى المثل: لا تنم بين القبور ولن ترى منامًا سيئًا. يضرب للابتعاد عن الشر.

(2) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. معنى التعبير: الذي ليس عنده فلس فلا يسوى فلسًا. يضرب للسعي في طلب المال.

(3) تعبير مصري. اللي: الذي. عندوش: عنده. يسواش: يسوى. والتعبير شبيه بالتعبير السابق الذكر.

(4) تعبير عراقي، ودارج في بعض الدول العربية بلفظ: «من تعب لعب، ومن لعب تعب». معنى التعبير: اجتهد واسع في العمل حتى ترتاح فيما بعد. يضرب نصيحة للاجتهاد في العمل حتى يحصد المرء ما زرعه في أيام تعبته فيرتاح.

حب الظهور والسلطة

علموني أن (حب الظهور يقصم الظهور) ولكنهم يطبقون «خالف تعرف» و«افعل المنكر حتى تُذكر».

آه يا صديقي.. ذكرتني بما نقله الذهبي في سير أعلام النبلاء عن ابن البناء البغدادي أنه قال: هل ذكرني الخطيب في (تاريخ بغداد) في الثقات أو مع الكذابين؟ قيل له: ما ذكرك أصلاً. فقال: ليته ذكرني ولو مع الكذابين.

وعلموني أن أخفي نفسي بقدر المستطاع عند فعل الخير من باب الإخلاص والابتعاد عن الرياء، وقالوا: (من سعى إلى الإخلاص رزقه الله الخلاص). ولكني رأيتهم يتفاخرون بأعمالهم الصالحة أمام الناس قائلين: لا بد أن يعرفوا من نحن، و(اللي ما يعرفك ما يثمنك).⁽¹⁾

وعلموني أن «الشيخ أبخص»⁽²⁾، وهذا حق لا اعتراض عليه، وهو مصداق قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: 59]، ولكن إن عارض شيء مصالحهم حذفوا هذا المبدأ من حياتهم، وكانوا مستعدين لقيام حرب من أجل ذلك، ولسان حالهم يقول: «دماء الناس أسهل وأرخص»!

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. يثمنك: يعطيك قدرك الذي تستحقه. معنى المثل: الذي لا يعرفك لن يعطيك قدرك. يضرب لتسلية من لم يُقدَّر من قبل الآخرين أو يضرب لبيان حال الواقع.

(2) تعبير دارج في الكويت. الشيخ: جمع شيخ، وشيخ: أمير. أبخص: أعلم وأدرى. معنى التعبير: الأمراء أعلم بحال الرعية وما يجب لها وما يجب عليها من غيرهم. يضرب للسمع والطاعة للأمراء بالمعروف.

وعلموني «اللي منت قدو لا توقف ضدو»⁽¹⁾ وهم مستعدون بإقامة حروب بحجة أنه «ما يرضى بالجور إلا الثور»!

صحيح يا صديقي أنه لا يرضى بالجور إلا الثور.. ولكن إن انتفت القدرة عن إزالة الجور فلا يقال عن الساكت ثور، بل يقال لمن أردى حال مجتمعه والبلاد أنه هو «الثور».. وصدق أهل عمان عندما قالوا: «جرادة وشاوية نفسها».⁽²⁾

آه يا صديقي.. كم أنا حزين حينما يناديك الناس بالجرادة.. ولكن العتب عليك، فأين كنت وقتها من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]؟

قال ابن الوردي في لاميته:

جانب السلطان واحذر بطشه

لا تعاند من إذا قال فعل

وعلموني أن كل واحد منا فيه خير ومنفعة للآخرين، فقالوا: الناس للناس والكل بالله). وقالوا: ألم تسمع قول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعضهم لبعض وإن لم يشعروا خدماً

(1) مثل شامي. اللي: الذي. منت: ما أنت. قدو: قده: مساو له في القدرة البدنية أو المنصب أو نحو ذلك. معنى المثل: الذي لا تستطيع مواجهته لقوته فلا تظهر له العداء. يضرب لعدم مجابهة القوي.

(2) مثل عماني. شاوية: من الشوي. عمرها: ويقال أيضاً: (نفسها). معنى المثل: جرادة - أي: مخلوق ضعيف - وتسبب في شواء نفسها. يضرب للمرء الذي يلقي نفسه إلى التهلكة.

فعلّموني أن أكون على ما أنا عليه، فإذا: (أنا أمير وأنت أمير منو يسوق الحمير؟).⁽¹⁾ وقد رأيتهم يتقاتلون على السلطة ولسان حالهم يقول: (الإمارة ولو على الحجارة).⁽²⁾

لا يا صديقي.. كلما علا منصبك زادت مسؤولياتك وزاد حسابك يوم القيامة، فالحق الله خفيف الظهر فهو خير لك.

(1) مثل دارج في الكويت بهذا اللفظ، وفي البلاد العربية بألفاظ متقاربة. منو: من، أو: من هو. معنى المثل: إذا أنا كنت أميراً وأنت أمير، فمن يتنازل ويعمل بالأعمال المتواضعة لخدمة الآخرين؟ يضرب لعدم التخرج من العمل مهما كان العمل متواضعاً.
(2) مثل دارج في العراق وكثير من البلاد العربية. يضرب في حب السلطة.

الحيلة

علموني أن «أبات مظلوم ولا أبات ظالم».⁽¹⁾ وهم لا يرتضون تطبيقه لأن التنازلات قد تجعلهم في إهانة، فقالوا: «من سوى نفسه سبوس لعبت فيه الدياي».⁽²⁾

نعم يا أصدقائي.. علموني أن «أبات غلبان ولا أبات ندمان»⁽³⁾ وأحدهم «يفتي على الإبرة ويبلع المدرة»⁽⁴⁾ أي: يفتي بتحريم صغار الأمور وهم مرتكبون للكبائر.. كمن «ياكل الجمل ويغص بالفأرة»!⁽⁵⁾

-
- (1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: ينبغي أن يحتاط المرء، ولو أن تنتهي المسألة بأن يكون مظلوماً، فهو خير. يضرب للكف عن الظلم.
 - (2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. سوا: جعل. سبوس: قشر الأرز. الدياي: الدجاج، وقلب الجيم ياء لهجة أهل تميم. يضرب لعدم إذلال المرء نفسه لئلا يتناول عليه أضعف المخلوقات.
 - (3) مثل مصري. غلبان: مسكين. ندمان: نادم من الظلم. وهو شبيه بالمثل الدارج في شبه الجزيرة (بات مظلوم ولا تبات ظالم).
 - (4) مثل مصري. المدرة: قطعة من الطين اليابس. معنى المثل: يفتي بتحريم صغار الأمور وهو مغترف لكبارها. يضرب للشخص الذي يحرم صغائر الأمور وهو يفعل كبارها.
 - (5) مثل حجازي. ياكل: يأكل. معنى المثل: يأكل الجمل ويغص بالفأرة تحرجاً وتورعاً أنه قد يقع في الحرام. يضرب للشخص الذي يحرم صغار الأمور وهو يفعل كبارها.

وعلموني «الحكي واجد والقول عند الفعل»⁽¹⁾ وعندما ضربوا اكتفوا بالسب، فقال أحدهم: «شبعونا طراقات وشبعناهم شتايم»⁽²⁾.
وعلموني أنني لا أستطيع التحايل على رب العالمين، وقالوا «من عاش بالحيلة مات بالفقر»⁽³⁾ وهم يفعلون عكس ذلك ويقولون «قطها براس عالم واطلع منها سالم»⁽⁴⁾.

وصدقوا في جانب دون آخر.. فإن الواحد منهم يخرج سالماً أمام الناس وكأنه بريء.. ولكن الحساب يوم الحساب.. والظلم ظلمات يوم القيامة!

نعم يا أصدقائي.. علموني أن «من عاش بالحيلة مات بالفقر» وهم قد عاشوا بالحيلة وانكشفوا وفقدوا سمعتهم ووظائفهم. وصدق من قال: (حبل الكذب قصير)⁽⁵⁾.

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. واجد: كثير. معنى المثل: كثير من يتكلم ولكن قليل من يفعل. يضرب للشخص الذي يقول ما لا يفعل.

(2) مثل دارج في الكويت. شبعونا: من الشيع والإكثار. طراقات: ضرب على الوجه. شتايم: شتائم. معنى المثل: قد أكثروا في ضربنا واكتفينا بالإكثار من شتمهم. يضرب للشخص الذي يرد الإساءة الفعلية بالإساءة القولية أو المعنوية وهي غير نافعة.

(3) وهو شبيه بالمثل العربي: من عاش بالمكر مات بالفقر.

(4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. قطها: ارمها. راس: رأس، والمقصود به الذات. معنى المثل: خذ الفتوى من عالم فهو يحمل إثمها إن كانت في الفتوى إثم. يضرب لأخذ الفتوى من عالم والاحتجاج بفتواه أمام الناس، سواء كانت صحيحة أو واضحة البطلان.

(5) كناية دارجة في شبه الجزيرة العربية. كناية أن الكذب مهما خفي أمره فإنه سيُكشف أمره.

وعلموني أن «الحرب خدعة»⁽¹⁾ ولكنهم خدعوني في السلم فقلت لهم: لا يحق لكم فعلتكم هذه لسبيين: أولاً: لست بعدوكم، وثانياً: نحن في سلم وليس في حرب. فقالوا: كنا نتدرب عليك حتى نتقن الخداع في الحرب! ألم تسمع إلى الحكمة التي تقول: «عرق التدريب يقلل من دماء المعركة»؟⁽²⁾

(1) مقتبس من حديث النبي صلى الله عليه وسلم. خدعة: بتثنية الخاء (فتح الخاء وضمها وكسرها)، ولغة الفتح أفصح.
(2) حكمة عسكرية.

عذر الناس

علموني أن «اللي ما يعذر الناس ما هو من الناس». (1) وهم لا يعذرون أحدًا ويعاقبون فوراً قائلين: «ما حطوا السلاطين إلا للشياطين». (2) وعلموني فضل أداء الصلوات في أوقاتها، فلما رأوني لم أصلّ لسفر أو مرض ولم يستفصلوا مني؛ قالوا لي فوراً: (جاك الموت يا تارك الصلاة). (3) ولما مروا بظروف مشابهة ولم يصلوا وأنكر عليهم، قالوا: (اللي ما يعذر الناس ما هو من الناس)!

وعلموني أن أحج على الفور، فقلت لهم الشروط ليست متوفرة كاملة، فقالوا: بل أنت (مطوع بو نص كُم) (4)، أو كما يقول الكويتيون: (أنت شيخ الذبان)، (5) ولكنهم يؤخرون الحج بحجة أنهم معذرون لأن (ما يحج إلا قوي). (6)

- (1) مثل دارج في الكويت. اللي: الذي. معنى المثل: الذي لا يعذر الناس ليس من الناس، فكأنه يدعي أنه ملك لا يعصي الله ما أمره. يضرب لالتماس العذر للآخرين.
- (2) مثل دارج في الكويت. حطوا: وضعوا. معنى المثل: لم يضعوا السلاطين والحكام والقضاة إلا للأشرار. يضرب لتهديد صاحب الشر بأن يكف عن شره أو نحو ذلك.
- (3) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. جاك: جاءك. الموت: استعارة عن العذاب. معنى التعبير: جاءك العذاب والهلاك أيها العاصي أو المقصر. يضرب تهديداً وتذكيراً بالله للعاصي أو المقصر.
- (4) كناية دارجة في كثير من البلاد العربية عن الشخص الذي يتظاهر بالالتزام الديني. مطوع: الشخص المتدين. بو: أبو. نص: نصف. كُم: مدخل اليد ومخرجها من الثوب.
- (5) أي: تدعي أنك صاحب دين أو نحو ذلك.
- (6) مثل دارج في الكويت. معنى المثل: لا يحج إلا قوي، والقوي هو من توفرت فيه شروط الحج من الزاد والراحلة. يضرب تسلية للشخص الذي لم تتوفر فيه شروط الحج.

الله المستعان يا صديقي.. أَوْصَلْتَ إِلَى هذه الدرجة في الوقاحة؟
وعلموني أن «الغلطة مغمورة في بحر الحسنات»، وعند أول غلطة
لي نسوا حسناتي، وقالوا: من أخطأ مرة يخطئ مائة مرة، فاللي
يسرق بيضة يسرق جمل»⁽¹⁾.

ولم يكتفوا عند هذا الحد، وإنما أكملوا قائلين -أجلكم الله-
وأستميحكم عذراً: (الفساوي تغطي مائة عطار).⁽²⁾

قد تستنكرون هذا اللفظ، ولكنه لم يصدر مني، وإنما صدر منهم،
وناقل اللفظ الوقح ليس بوقح دائماً، خصوصاً إن أراد التنبيه على
أمر ما..⁽³⁾ وهكذا هم بعض البشر، يركزون على نقلك الألفاظ
الوقحة من باب التحذير أو بيان ما مررت فيه، وينسون صاحب
اللفظ الوقح وكأنه بريء! فالحكيم يشير إلى القمر، والأحمق ينظر
إلى أصبعه!

وعلموني أن أعامل كل شخص بما عنده من خير وشر، وألا أحمل
أهله تبعاته، وقالوا لي: قال الله تعالى: ﴿الْأَنْزِلُ وَالزَّرُّ وَذَرَأُخْرَى﴾
[النجم: 38]، ولكنني رأيتهم يعاقبون أسراً وعوائل بأكملها من أجل

(1) مثل دارج في مصر وبعض الدول العربية. اللي: الذي. معنى المثل: الذي يسرق
شيئاً صغيراً سيتجرأ ويسرق شيئاً أكبر. يضرب تحذيراً من سرقة الشيء الصغير لئلا
يُتجرأ على الشيء الكبير.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. فساوي: جمع فساء. معنى المثل: كثرة السيئات
تُسي الحسنات. يضرب للشخص الذي تكثر سيئاته على حسناته.

(3) فعندما حدّث أبو هريرة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقبل صلاة
من أحدث حتى يتوضأ). قال رجل لأبي هريرة: (ما الحدث يا أبا هريرة؟). قال أبو
هريرة رضي الله عنه: (فساء أو ضراط). والحديث رواه البخاري.

خطأً واحد قد صدر من أحدهم، وربما لم يكن خطأً، وإنما توهموا أنه خطأً، ويقولون: (الخير يخص والشر يعم)!⁽¹⁾

لماذا يا صديقي؟ ألم تعلم أن العرب قديماً كانوا يقولون: (علام تَحْدِجُنِي بَذَنبٍ غَيْرِي؟).⁽²⁾

وعلموني أن أغفر زلل الأصحاب، فمن أراد صاحباً بلا عيب ظل بلا صاحب. وهم يمشون ويقولون: «أبو شارب فيه وفيه وأبو لحية ما نبيه».⁽³⁾

وعلموني أن «الغائب حجته معاه»⁽⁴⁾ ولكن حينما تغيب عنهم قالوا عنك: (فلان بن فهرة).⁽⁵⁾

قال الشاعر:

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ بِلُومِ لِصَاحِبٍ
لَعَلَّ لَهُ عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ

(1) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى التعبير: صاحب الخير يُجَازِي على إحسانه لو حده، وصاحب الشر إن صدر منه ذنب فيُجَازِي هو ومن ليس له يد في الموضوع. يضرب للتهديد والوعيد.

(2) قال ابن فارس: (التحديق في النظر مثل التحديق). فيكون معناه: علام تنظر إلي نظرة لوم بما فعله غيري؟

(3) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. نبيه: نريده. معنى المثل: صاحب الشارب فيه من العيوب ما فيه، وصاحب اللحية لا نرتضيه. يضرب للشخص الذي لا يعجبه شيء.

(4) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. الغائب: الغائب. معاه: معه. معنى التعبير: الغائب حجته وعذره معه في عدم المجيء. يضرب لالتماس العذر للآخرين.

(5) كناية دارجة في شبه الجزيرة العربية، وتعني: عديم الحياء.

وعلموني إن أخطأوا في حقي أن أقول: (كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه)، وإن أخطأ غيرهم أدخلوا أهله جميعاً في الموضوع، وقالوا: (الحب يطلع على بذره).⁽¹⁾

آه يا أصدقائي.. إنهم إن أخطأوا في حق غيرهم طلبوا العفو ويقولون: (المسامح كريم)، وإن أخطأ أحد الناس في حقهم لا يتنازلون معللين ذلك عدم رغبتهم في إسقاط هيبتهم فيقولون: «من سوى نفسه سبوس لعبت فيه الدياي».⁽²⁾

وعلموني أنه لن أجنبي من الشوك العنب وقالوا: (الحب يطلع على بذره)،⁽³⁾ و(ابن الحنش ثعبان)،⁽⁴⁾ و(ابن الوز عوام)،⁽⁵⁾ ولكنني قرأت لاحقاً قول ابن الوردي في لاميته:

إنما الورد من الشوك وما

ينبت النرجس إلا من بصل

(1) مثل دارج في كثير من البلاد العربية. الحب: ما يكون في السنبل والأكمام، وجمعه: حبوب. معنى المثل: الناتج من الحصاد يشابه البذر المزروع. يضرب لشبه الصغير بالكبير في الأقوال والأفعال أو في الصورة والشكل.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. سوا: جعل. سبوس: قشر الأرز. الدياي: الدجاج، وقلب الجيم ياء لهجة أهل تميم. يضرب لعدم إذلال المرء نفسه لئلا يتناول عليه أضعف المخلوقات.

(3) مثل دارج في كثير من البلاد العربية. الحب: ما يكون في السنبل والأكمام، وجمعه: حبوب. معنى المثل: الناتج من الحصاد يشابه البذر المزروع. يضرب لشبه الصغير بالكبير في الأقوال والأفعال أو في الصورة والشكل.

(4) مثل مصري. الحنش: حية عظيمة. ثعبان: ثعبان. وهو شبيه بالمثل السابق الذكر.

(5) مثل مصري. وز: جمع وزه. عوام: يجيد العوم، أي: السباحة. معنى المثل: ابن الوز يجيد السباحة. يضرب لشبه الابن بالأب أو الأم سواء بالمظهر أو بالأفعال.

الحسد

علموني ألا أحسد لأن «الحسود لن يسود»،⁽¹⁾ وهم «يحسدون الميت على موتة الجمعة».⁽²⁾

وعلموني أن «الرضا سيد الأحكام»، ولكن لا يسكن لهم بال إلا بالمزيد من الخير، ف«طبخته على النار وعينه على طبخة الجار».⁽³⁾

نعم يا أصدقائي.. علموني أن الحسد مذموم فقالوا: (عندنا عيش وعندكم عيش وفراغة العين ليش)⁽⁴⁾؟ ثم أتفاجأ أن «طبخهم على النار وعينهم على طبخة الجار».

إنا لله وإنا إليه راجعون.. صحيح أنه «لا يملي عين ابن آدم إلا التراب».⁽⁵⁾ قال الشاعر:

(1) عربي فصيح.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. موتة الجمعة: موت يوم أو ليلة الجمعة. معنى المثل: الناس قد يحسدون الميت إن مات يوم الجمعة لما فيه من الأجر، كما ورد في الحديث الصحيح. يضرب للمرء الحسود الذي يحسد حتى في المصائب.

(3) مثل فلسطيني. معنى المثل: طبخة فلان على النار، ولكن عينه على أكل جاره. يضرب للشخص الحسود الذي عنده خير، ولكنه ينظر إلى خير غيره.

(4) مثل فلسطيني. عيش: رزق. فراغة العين: كناية عن الطمع. ليش: لماذا. معنى المثل: إذا كان للحاسد وللحسود طعام، فلماذا الحسد؟ يضرب للشخص الحسود الذي عنده خير وينظر إلى خير غيره.

(5) مقتبس من حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن بدلاً من «عين» ورد بلفظ «جوف».

والناس إن شبعت بطونهم فعيونهم في ذاك لا تشبع

وعلموني أنه ينبغي أن تكون منافساتنا شريفة، وألا نتقاتل من أجلها، وأن نترك التحاسد، وإن كان (الجمال ما يحسد إلا الجمال).⁽¹⁾ ولكن عند نجاح أحد أصدقائنا وتفوقه علينا، فتشوا في سيرته منذ ولادته ليومهم ذاك ليستخرجوا عيوبه ويقدحوا فيه، وقالوا: (التاجر لما يفلس يدور في دفاتره القديمة).⁽²⁾

وعلموني أنه يجب أن يشاركوني في طعامي لأن أفضل الطعام «اللي تكثر عليه الأيادي»⁽³⁾ وقالوا: «كل مشروك مبروك».⁽⁴⁾ وهم لا يرتضون لأحد أن يشاركهم في طعامهم، وإنما يقولون «يا واكل قوتي يا ناوي على موتي».⁽⁵⁾

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. الجمال: راعي الجمال الذي يسوق الجمال. معنى المثل: صاحب الجمل لا يحسد إلا صاحب جمل مثله. يضرب للشخص الذي يحسد شخصاً يشاركه في التخصص أو ينافس في تجارة أو نحو ذلك.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. يدور: يبحث. معنى المثل: حينما يفلس التاجر فإنه يبحث في دفاتره القديمة. يضرب للشخص الذي يفلس فلا يجد حيلة إلا بحثاً في دفاتره القديمة لبحث عن يطالبه المال أو من سلفه قديماً أو نحو ذلك.

(3) اللي: الذي.

(4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. مشروك: طعام مشارك فيه. معنى المثل: كل طعام مشارك فيه فهو مبارك. يضرب تشجيعاً على المشاركة في الأكل.

(5) مثل مصري. واكل: آكل. معنى المثل: يا من تأكل قوتي فإنك بفعلك هذا قد نويت على موتي. يضرب للشخص الذي لا يحب أن يشاركه أحد.

وعلموني «خلقك على مجنونك لا يجي اللي أجن منه»⁽¹⁾ ولكنهم يسعون إلى الأفضل ويقولون: (قط الخيط وعلى الله الصيد)⁽²⁾ ولا بد أن يكافح المرء ويجازف ويخاطر حتى يصل إلى هدفه. وذكروا لي قول الشاعر:

وَمَنْ يَتَهَيَّبُ صَعُودَ الْجِبَالِ
يَعِشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفْرِ

نعم.. علموني ألا أسعى إلى الأفضل وإلى المزيد من الرزق وقالوا (احمد ربك). فقلت لهم: حمدت ربي فزادني، ولا زلت أحمده فيزيدني، ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7].

قال الشاعر:

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَا
إِلَّا الحَسُودَ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. خلقك: كن. مجنونك: استعارة عن الشيء الرديء أو الشيء المعقول. يجيك: يجيئك. اللي: الذي. أجن: أكثر جنوناً. معنى المثل: كن على ما أنت عليه خوفاً من أن يأتيك ما هو أسوأ. يضرب للقتناع فيما عليه المرء، وأحياناً قد يقال حسداً لئلا ينتقل المرء إلى شيء أحسن.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. قط: ارم. الخيط: ما يصطاد به السمك. معنى المثل: ارم الخيط والله يرزقك الصيد. يضرب لبذل الأسباب.

التخصص

علّموني «عط الخباز خبزك ولو كله نصه»..⁽¹⁾ وهم يحاولون أن يخبزوا الخبز وإن أحرقوه كله ولم يستفيدوا منه ولو قطعة صغيرة لافتقادهم الخبرة! وصاحب الخبرة يرى هذا المشهد وهو متحسر، فهو أولى بإنجاز المهمة، وإن وُجدت الخسائر فستكون أقلّ حتمًا.

وعلموني «مو كل من قال دي صار طمبرجي، ومو كل من صف صواني قالوا عنه حلواني».⁽²⁾ ومع ذلك يستفتون في دينهم من يعرفون ومن لا يعرفون!

وعلموني ألا أتكلم في كل شيء، ف(كل صانع وله صنعته)، وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. ولكنهم يتكلمون في كل شاردة وواردة بحجة أن (الحق أبلج والباطل لجلج).⁽³⁾

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. عط: أعل. كله: أكله. نصه: نصفه. معنى المثل: أعط الخباز خبزك ولو أكل نصفه. يضرب نصيحة للشخص أن يعطي كل صاحب صنعة صنعته.

(2) مثل شامي. مو: ليس. دي: صوت يصدره الإنسان للحمار أو الحصان أن «تحرك». طمبرجي: حمار، أي: من يقود الحمار. صواني: جمع صينية، وهي آنية الطعام. حلواني: صانع الحلوى والمعجنات. معنى المثل: ليس كل من قال للحمار «دي» صار حمارًا وأتقن المهنة، وكذلك ليس كل من طبخ الحلوى صار محترفًا في ذلك. يضرب لعدم الاغترار بالمرء لمجرد قول أو فعل ما حتى يتبين أنه متخصص ومتقن لتخصصه.

(3) مثل عربي فصيح. أبلج: واضح وظاهر. لجلج: المختلط الذي ليس بمستقيم. معنى المثل: الحق ظاهر وبيّن والباطل ليس بيّن. يضرب لاتباع الحق.

آه يا أصدقائي.. صدق من قال: (لو كل من جا ونجر ما ظلّ في الوادي شجر).⁽¹⁾

(1) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. جا: جاء. ظلّ: بقي. معنى المثل: لو كل شخص يجيد النجارة لما بقي في الوادي شجر. يضرب للشخص أن يعمل بعلمه وتخصصه ومهنته وألا يتدخل فيما لا يحسن فيه.

العنصرية

علموني أن أبذ العنصرية، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي،
ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى، والواقع هو: (أسمع كلامك
أصدقك أشوف أمورك أستعجب).⁽¹⁾

نعم.. علموني ألا أكون عنصرياً، وألا أكون ممن ينطبق عليه المثل:
(الزبن عندنا والشين حوالينا)،⁽²⁾ ولسان حالهم في المقابل يقول: (إذا
مات الغني عزيناه، وإذا مات الفقير نسيناه).⁽³⁾

قال الشاعر:

مات الغني فقام الناس ما قعدوا

مات الفقير فلم يشعر به أحد

حتى مع الموت نافقنا فوا عجب

من للمساكين إن ماتوا وإن ولدوا

(1) مثل مصري. معنى المثل: أسمع كلامك الجميل فأصدقك وعندما أرى أفعالك
فإني أتعجب من مخالفتك لكلامك. يضرب للشخص المتناقض الذي يقول ما
لا يفعل.

(2) تعبير شعبي دارج في شبه الجزيرة العربية. الشين: عكس الزين. حوالينا: حولنا.
معنى المثل: الأمر حسن عندي والأمر السيء عند غيري. يضرب للشخص
الذي يدعي الأمر الحسن وأنه يتقن شيئاً ما بخلاف غيره الذي يكثر عنده النقص
والخلل ونحوه.

(3) مثل دارج في قطر. معنى المثل: إذا مات الغني فإننا نعزيه، وأما إن مات الفقير فإننا
ننساه. يضرب للشخص الذي يهتم بشخص دون آخر لمصلحة.

وعلموني ألا أعير من تاب لأن كل بني آدم خطاء، وقالوا: (لا تعاريني ولا أعيرك، الهه طاييني وطايلك).⁽¹⁾ ولكنهم يعايرون كل شخص لا يعجبهم، وحينما قيل لهم: كيف تنهون عن معايرة الناس لكم وأنتم تعايرونهم؟ فقال أحدهم بكل وقاحة: (ألا تعرف من أنا؟ وألا تعرف أنا ابن من؟).

نعم أعرفك يا صديقي.. فأولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة.

(1) مثل مصري. طاييني: واصلني. طايلك: واصلك. معنى المثل: لا تعاريني بما أمر به من هم وغم، فوضعي ووضعيك متشابه. يضرب للشخص الذي يعاير وفيه من العيوب ما فيه.

الأنانية

عَلِّمُونِي أَنْ أَكُونَ موجودًا لَهُمْ إِذَا احتاجوني لِأَنْ «الصديق وقت الضيق». وهم يضحكون معك في الرخاء ويهربون وقت الجِدِّ، فيقولون: «أنا مع خوالي إِذَا جر الصحن، ومع عَمَّانِي إِذَا جر الطعن».⁽¹⁾

وعَلِّمُونِي أَنْ «اليد الواحدة ما تصفق»⁽²⁾، و«ربع تعاونوا ما ذلوا»..⁽³⁾ وعندما تحتاجهم، يقولون: كنا سنساعدك لكنك سبقتنا بالشكوى! وهذا الذي قالوا عنه «من طق طبله قال أنا قبله».⁽⁴⁾ ثم ماذا يحصل بعد ذلك؟ يهربون قبل أن يسمعوا بحجة: «كلن اللي بقلبه شقى اللي له، وأنا بقلبي شقى الغالي».⁽⁵⁾

- (1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. خوالي: أخوالي. جر الصحن: كناية عن الأكل. عَمَّانِي: أعمامي. جر الطعن: كناية عن الحرب والقتال. معنى المثل: أنا مع أخوالي وقت الأكل والضحك، وعندما يحين وقت الحرب أقف مع أعمامي. يضرب لمن يتخذ صحبة قوم للضحك، ولا يقف معهم عند الشدة.
- (2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. الواحدة: الواحدة. معنى المثل: لا يمكن لليد الواحدة أن تصفق، لأنها بحاجة إلى يد أخرى. يضرب نصيحة للشخص كي يتعاون، أو يضرب لبيان سبب حال ضعفه الذي يمر به وهو عدم وجود من يتعاون معه.
- (3) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. ربع: أصدقاء. ما ذلوا: لم يصبهم الذل. معنى المثل: إن تعاون الأصدقاء فلن يصيبهم الذل. يضرب حثًا على التعاون.
- (4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. الطبل: الذي يُضرب به وهو ذو الوجه الواحد والوجهين. معنى المثل: إن قال أو فعل أحد شيئًا، قال قد فعلته قبله. يضرب للشخص الذي يدعي أنه سابق غيره في شيء.
- (5) تعبير دارج في الكويت. كلن: كل. اللي: الذي. شقى: شقاء. معنى المثل: كل يحمل في قلبه شقاء، وأنا في قلبي شقاء الغالي، أي: حب الغالي جعله لي مثل الشقاء والهَم من كثرة التفكير. يضرب لبيان أن لكل واحد عذرًا وهَمًّا يحمله.

وعلموني أن أساعدهم دومًا من دون أن يطلبوا؛ لأن «اليد الواحدة ما تصفق»⁽¹⁾ ولكنني إذا طلبت منهم المساعدة قالوا: (كنا في بير ورموا فينا فيل).⁽²⁾

وعلموني «لا تطلب من الحافي نعال»⁽³⁾ وهم يطلبون ويطلبون، ظنًا منهم أن غيرهم عنده من الخيرات، ولكنه يكذب عليهم، ولا يمثلون للمثل «إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع».

وعلموني «إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع»، ولكنهم طلبوا مني ما لا يقبله عقل ولا عرف، فقالوا: «احذف أمك وشيل أمي».⁽⁴⁾

نعم يا أصدقائي... علموني أن بر الوالدين واجب، وأن «رضا الرب في رضا الأب»، ولكن حينما يتعارض مع مصلحتهم قالوا: «احذف أمك وشيل أمي».

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. الوحدة: الواحدة. معنى المثل: لا يمكن لليد الواحدة أن تصفق، لأنها بحاجة إلى يد أخرى. يضرب نصيحة للشخص كي يتعاون، أو يضرب لبيان سبب حال ضعفه الذي يمر به وهو عدم وجود من يتعاون معه.

(2) مثل سوداني. بير: بئر. فينا: فوقنا. معنى المثل: كنا في بئر ورموا فوقنا فيل فزادوا المصيبة مصيبتين. يضرب لمن يزيد غيره همًا على هم ومصيبة على مصيبة.

(3) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. الحافي: الذي يمشي حافيًا بلا نعلين. معنى المثل: لا تطلب نعالًا ممن لا يملكه. يضرب لعدم سؤال من لا يملك طلبك ولا يستطيع مساعدتك.

(4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. شيل: احمل. معنى المثل: احذف أمك ولا تهتم بها، واهتم بأمي واحملها. يضرب للأثاني الذي لا يبالي إلا بمصلحته ولو أن يصاب غيره بضرر.

آه يا أصدقائي.. علّموني أن أكون سخيًّا مع الناس، فقالوا: ليكن كرمك «طائيًّا»،⁽¹⁾ وهم يعملون بـ«اللهم نفسي».

وعلموني أن أعتاد على التعامل معهم من باب «إذا كان حبيبك حلولا تلحسه كله»⁽²⁾ حتى لا أطلب منهم شيئاً، وعلموني أن أعتاد على معاملتهم من باب «اللي يحب النبي يعطي»⁽³⁾ دون شبع أو ملل أو شفقة!

-
- (1) كناية عن الكرم، والناس منذ القدم يضربون المثل بكرم حاتم الطائي.
(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: إذا كان حبيباً طيباً فلا تستغله غاية الاستغلال وإنما انتفع منه بالمعروف. يضرب لتقدير الطيب.
(3) الأصل في المثل المصري: «اللي يحب النبي يضرب». اللي: الذي. ولكنني غيرتها حسب السياق. ومعنى تعبيرى: الذي يحب النبي يعطي. يقال تشجيعاً للبدل ونحوه.

الندالة والوقاحة

علموني ألا أظلم أحداً، فقالوا: «معاملة بالسوية عدل بالرعية».⁽¹⁾ ولكنهم يعذرون أناساً ولا يعذرون آخرين، ولسان حالهم يقول: «اللي نحبه نبلع له الزلط، واللي ما نبيه ندور عليه الغلط».⁽²⁾ وعلّموني أن أعاملهم بـ«يا دهينة لا تنكتين»⁽³⁾ وعاملوني بـ«خيرًا تفعل شرًّا تلقى».

نعم يا أصدقائي... صدقوا أو لا تصدقوا.. هذه هي الندالة بعينها! فعلموني أن أعاملهم بـ«يا دهينة لا تنكتين»⁽⁴⁾ وهم لا يهتمون بأحد

(1) من باب الفائدة: هل معاملة الجميع بالسوية يكون عدلاً؟ قد لا يكون كذلك، فالمساواة شيء والعدل أمر آخر، ولأن أحياناً يحتاج المرء أشياء لا يحتاجه آخر، كما أن الشخص من ذوي الاحتياجات الخاصة تختلف طلباته عن غيره، وهلمّ جراً. ولكن التساوي في المعاملة بالمثل المذكور في حال دون آخر، مثل التساوي فيمن انطبقت عليهم الصفات والشروط، والله أعلم.

(2) مثل حجازي. اللي: الذي. نبيه: نريده ونحبه. الزلط: حصة صغيرة ملساء. ندور: نبحت. معنى المثل: الذي نحبه نتغافل عن أخطائه، ومن نكرهه نبحت له عن أخطاءه. يضرب لمن يتغافل عن أخطاءه من يحب ويبحث عن أخطاءه من يكره.

(3) تعبير شعبي دارج في شبه الجزيرة العربية. دهينة: تصغير دهن. لا تنكتين: لا تنسكي. معنى المثل: لا تنسكي أيتها الدهينة. يضرب للشخص الذي يبالغ بالإحسان في المعاملة مثل أن يحمل الدهن في يديه ويخشى أنها تنسكب منه.

(4) تعبير شعبي دارج في شبه الجزيرة العربية. دهينة: تصغير دهن. لا تنكتين: لا تنسكي. معنى المثل: لا تنسكي أيتها الدهينة. يضرب للشخص الذي يبالغ بالإحسان في المعاملة مثل أن يحمل الدهن في يديه ويخشى أنها تنسكب منه.

إلا بعد فوات الأوان. فذكروني بالمثل: «عاش يتمنى في عنبة، مات جابوله عنقود»⁽¹⁾.

وفي ذلك قال الشاعر:

لأُعرفنَّكَ بعدَ الموتِ تندُّبني

وفي حياتي ما زودتني زادي

وقال الشاعر التونسي محمد بو شريبة:

كثُرَ التزاوُرُ بيننا في هذه الدنيا الخُوُونُ

فإذا قُبرْتُ فهل لِقَبْرِي زائرٌ منكم حُنُونُ

إنِّي نظرتُ بعينٍ غَيبٍ تُدرِكُ الحَقَّ المَبِينُ

أنَّ التزاوُرَ في الحياةِ وقَطَعَهُ عندَ المُنُونِ

آه يا أصدقائي.. الندالة تमित الذكر، فانتبهوا.. قال الشاعر الشعبي:

النِندل ميت وهو حي

ماحد حاسب حاسبه

هو كالترمس النبي

حضوره يشبه غيابه⁽²⁾

(1) مثل دارج في بلاد المغرب العربي. جابولو: جاءوا ب. معنى المثل: عندما كان حيًّا تشهى عنبة ولم يعطوه، فلما مات عرفوا قدره وأتوا بعنقود. يضرب لمن يعرف قيمة الشخص بعد فوات الأوان.

(2) شعر مصري. الندل: النذل. ماحد: لا أحد.

وعلموني أن أبدأ بـ«السلام قبل الكلام» ولكنهم يتكلمون ولا يسلمون. وإن سلموا، سلموا باحتقار «كسلام الماوردي على بياع الفسيخ»،⁽¹⁾ ويقولون: «خير الكلام ما قلّ ودل».

وعلموني أن الصراحة أحياناً قد تكون وقاحة، فقالوا: «لسانك حصانك إن صنته صانك». ولكنهم وقحون ويجرحون بحجة «الصراحة راحة».

يا صديقي.. قد سببت في فراق كثير من أحبابك بسبب لسانك..
ولم تتصح بقول الشاعر:

فإن النار بالعودين تُذكى

وإنّ الحربَ أولّها كلامٌ

وعلموني «من حبك سبك»،⁽²⁾ ولما سببتهم قالوا: انتبه! لا تضحك معنا بهذه الطريقة.. «أول المزاح شتم وآخر تو لطم».⁽³⁾

وعلموني أن «ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب».⁽⁴⁾ وعندما يُنصحون

(1) مثل مصري. الماوردي: من يبيع الماء الورد. بياع: بائع. الفسيخ: نوع من أنواع السمك. معنى المثل: سلام الماوردي على بائع «الفسيخ» يكون سلام تكبر وغرور. يضرب للشخص الذي يتكبر على غيره.

(2) مثل دارج في الكويت. معنى المثل: من يحبك فإنه يسبك حرصاً عليك ألا تقع في الخطأ أو نحو ذلك. يضرب تسلية للشخص أو لبيان حال ما مرّ به.

(3) مثل شامي. وآخر تو: وآخرته. معنى المثل: بداية المزاح شتم، ثم تنقلب إلى مشاجرة. يضرب تحذيراً من المزاح الثقيل، خصوصاً المصاحب بالسب والشتائم.

(4) مثل دارج في كثير من البلاد العربية بألفاظ متقاربة. معنى المثل: إن ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب. يضرب لقبول ضرب أو إهانة الحبيب.

قد يستثقلون النصيحة، فيقولون مهددين: «ياللي تاريخه كله فضايح ما تجينيش وتديني نصايح».⁽¹⁾

وعلموني «إذا سبك النذل اسكت عنه وارتحل»،⁽²⁾ وإذا سبهم أحد الناس ردوا الصاع صاعين.

لا يا صديقي.. أين أنت من قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: 63]؟ وإن كان ولا بد وأردت أن تعاقب، فأين أنت من قول الله تعالى: ﴿وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: 126]؟

وعلموني إن أخطأ أحد بحقي أن أقول:

لو كل كلب عوى ألقمته حجرًا

لأصبح الصخر مثقالًا بدينار

ولكن حينما اتهموني باتهامات باطلة وتجاهلتهم، قالوا بأن التهمة صحيحة، ولو كان الحق معي لرددت عليهم -كما زعموا-، فقالوا: (الكلمة اللي تستحي منها بدها).⁽³⁾

(1) مثل مصري. ياللي: يا من. تجينيش: تأتيني. تديني: تعطيني. معنى المثل: يا من كان تاريخه كله فضائح، فلا تأتيني وتعطيني نصائح. يضرب لمعايرة الناصح الذي أخطأ في ماضيه، وذلك للكف عن النصح، أو يتخذ القائل كمبرر للاستمرار في الخطأ.

(2) تعبير دارج في الكويت. معنى التعبير: إذا سبك النذل فاسكت وابتعد عنه. يضرب لعدم مجازاة النذل في الكلام أو نحوه.

(3) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. بدها: أظهرها. معنى المثل: الكلمة التي تستحي منها قلها في البداية، والمقصود كلمة الحق. يضرب للحث على الكلام بالحق وعدم الحياء من ذلك.

وعلموني «حط راسك بين رجليك واشهد على والديك»⁽¹⁾ عندما احتاجوني. ولما احتجتهم قالوا «أنا وأخوي على ولد عمي، وأنا وولد عمي على الغريب»⁽²⁾.

ألستم أنتم حينما أردتم أن أشهد لكم تلوتم عليّ قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: 135]؟ وعززتم بآية أخرى فتلوتم قول الله تعالى أيضاً: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ وَبِعَهْدِ اللّٰهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: 152]. آه يا أصدقائي.. قد أضعتم كل شيء جميل بيننا.

وعلموني أن أرد الجميل بجميل مثله أو أحسن منه، فقالوا «اللي يبص لي بعين أبص له بالتنتين»⁽³⁾ ولكنهم يطبقون «جزا ناقة الحج ذبحها»⁽⁴⁾.
وعلموني أن أكون رحيماً مع الأصحاب وشديداً على الأعداء، ولكنهم «أسدُّ علي وفي الحروب نعامة»⁽⁵⁾. وكما قال الشاعر الكويتي فهد العسكر: (متذبون ولو ثغت شاة للاذوا بالفرار)⁽⁶⁾.

- (1) مثل دارج في الكويت. حط: ضع. معنى المثل: اشهد بالحق ولو كان على القريب.
- (2) مثل دارج في الكويت. أخوي: أخي. معنى المثل: أنا وأخي نتعاون معا على ابن عمي إن خالفنا وعارضنا، وأنا وابن عمي نتعاون معاً على الغريب إن خالفنا وعارضنا.
- (3) مثل مصري. اللي: الذي. يبص: ينظر. بالتنتين: بالاثنتين. معنى المثل: من نظري بعين واحدة فسأُنظر إليه بالعينين. يضرب لرد الإحسان بإحسان أفضل منه.
- (4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. جزا: جزء. معنى المثل: جزاء ناقة الحج التي حملتنا على ظهرها إلى حج بيت الله الحرام أن نذبحها عندما ننتهي من الغرض منها. يضرب عند استنكار سوء الجزاء.
- (5) شطر بيت شعر لعمران بن حطان.
- (6) متذبون: من الذئب، وفي الوقت المعاصر نقول: (متنمر). الثغاء: صوت الشاة.

وعلموني أنه «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»، ولكنهم يرون إحسان الناس لهم كالواجب عليهم؛ لأنه من خيرهم! ويرون أنهم هم المتفضلون دائماً وأبداً، وأما من يصنع لهم المعروف ينطبق عليهم «خذ من كيسه وعايده»..⁽¹⁾ نعم يا أصدقائي.. يرون أن الناس أخذوا من كيسهم وعایدوهم به.

وعلموني إن أصابني شرٌّ فهذا بسبب ذنوبي وقالوا: (جاك الموت يا تارك الصلاة)⁽²⁾ مع أنني لم أترك الصلاة، وعلموني أن ما أصابهم من مصيبة فهو ابتلاء من الله ليرفع درجاتهم، فيقولون مفتخرين: (المؤمن مبتلى).⁽³⁾

لا يا صديقي.. ليس عندك علم الغيب.. وليس بيننا من أطلعه الله على الغيب.. فالوحي قد انقطع.. ولا يحق لك توزيع أقدار الله بمشتهاك.. وإلا؛ هل تستطيع أن تخبرنا: كيف عرفت أن فلاناً ابتلاه الله لأنه يحبه، والآخر ابتلاه الله عقوبة له على ذنوبه؟!

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. عايده: أعده إليه. معنى المثل: خذ مما أعطاك ثم أعطه منه وكأنك أنت المتفضل عليه. يضرب للشخص الذي يعطي الشخص من عطية أو مال من أعطاه بطريقة التحايل أو نحو ذلك.

(2) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. جاك: جاءك. الموت: استعارة عن العذاب. معنى التعبير: جاءك العذاب والهلاك أيها العاصي أو المقصر. يضرب تهديداً وتذكيراً بالله للعاصي أو المقصر.

(3) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى التعبير: المؤمن يقع في الابتلاء، وهذا مصداق للحديث: (إذا أحب الله عبداً ابتلاه). يضرب للتسلية والتهوين من المصيبة.

وعلموني أن «الكلمة اللي تستحي منها بدھا»،⁽¹⁾ فلما صارحتهم قالوا هذه دلالة أنك حقود لأن «عند الشدايد تظهر الأحقاد».⁽²⁾

وعلموني ألا أتدخل فيما لا يعني، فقالوا «يا داخل بين القشر والبيض اطلع يا خايس الريح».⁽³⁾ أو كما يقول أهل مصر: (يا داخل بين البصل وقشرتها ما ينوبك إلا ريحتها)، ولكنهم يحشرون أنوفهم في كل شيء بحجة «اللي يعرف مصيبة غيره تهون عليه مصيبته».⁽⁴⁾

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. بدھا: أظهرها. معنى المثل: الكلمة التي تستحي منها قلها في البداية، والمقصود كلمة الحق. يضرب للحث على الكلام بالحق وعدم الحياء من ذلك.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. الشدايد: الشدائد. معنى المثل: عند الشدة يظهر الحاقد من الصاحب. يضرب لبيان حال المرء حينما يقع في الشدائد.

(3) مثل دارج في الكويت. خايس: تن. معنى المثل: يا من تتدخل بين اثنين، لا تتدخل فيما لا يعنيك. يضرب للكف عما لا يعني المرء.

(4) تعبير دارج في الكويت. اللي: الذي. معنى المثل: من عرف مصيبة غيره ستهون عليه مصيبته ويرأها لا شيء مقارنة بالآخرين. يضرب للتهوين من المصيبة والتسلية.

الحقارة

علّموني أنهم قد يقلّلون من قدراتك ليستخرجوا أحسن ما فيك
فيستفزونك بإثارة عاطفتك، كأن يقولوا: لا تستطيع فعل كذا وكذا،
و«هذا الميدان يا حميدان»..⁽¹⁾ و«آدي الجمل وآدي الجمال»⁽²⁾.. وهم
يظهرون أسوأ ما فيهم دائماً، ويقولون لا تتعامل معنا إن لم ترتح لنا،
ف«اللي تعرفه أحسن من اللي ما تعرفه»⁽³⁾!

أه يا صديقي.... قد قالوا: (بكرة يفتح السوق وبيان العطار من البيطار)،⁽⁴⁾
وليته لم يفتح السوق يا صديقي وظللنا إلى يومنا هذا وهو مغلق!
وعلموني أن «الضرب بالميت حرام»،⁽⁵⁾ وهم «يقتلون القليل
ويمشون في جنازته».⁽⁶⁾

- (1) مثل دارج في الكويت. الميدان: مكان المنافسة. حميدان: اسم رجل. معنى المثل:
هذا الميدان فتعال يا حميدان وأرنا من الغالب ومن المغلوب. يضرب للتحدي.
- (2) مثل مصري. آدي: هذا. الجمال: الذي يقود الجمل. معنى المثل: هذا الجمل وهذا
الجمال. يضرب عند الاختلاف فيؤتى بجميع العناصر لقطع الشك باليقين.
- (3) تعبير دارج في الكويت. اللي: الذي. معنى المثل: أن تتعامل مع من تعرفه خير من
التعامل مع المجهول. يضرب لتفضيل في التعامل مع المعرفة بدلا من المجهول.
- (4) مثل مصري. بكرة: غداً. بيان: يظهر. العطار: من يبيع الأعشاب والأدوية الشعبية.
البيطار: البيطري الذي يعالج الحيوانات. معنى المثل: غدا سيفتح السوق ويظهر من
هو العطار ومن هو البيطري. يضرب للانتظار حتى تتبين الحقائق.
- (5) تعبير دارج في كثير من البلاد العربية. معنى المثل: إيذاء أو جرح الشخص الضعيف
أو المصاب أمر غير مستحق. يضرب لردع ظالم عن الاستمرار في ظلمه.
- (6) مثل مصري. القليل: المقتول. معنى المثل: يقتل أو يؤذي الشخص غيره ويتظاهر بأنه
عطوف عليه. يضرب للشخص المؤذي الذي يتظاهر بالخير.

وعلموني أن إيذاء الغير حرام، و«الجزاء من جنس العمل». وهم يتخذون قاعدة الغاية تبرر الوسيلة، فيضربون «الحمار لتستأدب الغنم»!

وعلموني ألا أكون «بو وجهين»⁽¹⁾ وألا «ألعب على الحبلين»،⁽²⁾ وهم يلعبون على ألف حبل بحجة أن الغاية تبرر الوسيلة!

وعلموني أن الشيطان الإنسي يهرب حينما يرى الصالح ولا يجذب الجلوس معه، فقالوا: (إذا حضرت الملائكة هربت الشياطين). ثم جاءني شيطان محذراً من شيطان آخر لتعارض مصالحهما، ويتكلم وكأنه ملك، فقلت له: (مسامحة يا لقبب عبالي خثاق).⁽³⁾

آه «يا القبقب».. لن أنساك أبداً إلا أن يشاء الله.

وعلموني أن «الشيطان ما مات» وعليّ أن أنتبه وأتعوذ منه، ولما «حُبس أحدهم في كيس مع إبليس، طلع منه إبليس يستغيس»!⁽⁴⁾

(1) كناية دارجة في شبه الجزيرة العربية، وهي كناية عن الشخص الذي يقول قولاً أو يفعل فعلاً عند قوم ويفعل عكسه عند آخرين.

(2) كناية دارجة في شبه الجزيرة لعربية، وهي كناية عن النفاق.

(3) مثل بحريني. القبقب: السرطان أو السلطعون، وفي بعض الدول العربية يقال عنه: كابوريا. عبالي: ظننت. خثاق: حَبَّار. معنى المثل: أتأسف منك يا من تدعي العدل والصلاح، فقد ظننتك مؤذياً. والمعروف أن السرطان والحبار مؤذيان ولا فرق بينهما. يضرب تهكماً بالشخص الذي يدعي الخير.

(4) مثل شامي. يستغيس: يستغيث. معنى المثل: لو وضعت فلاناً من الناس في كيس مع إبليس فإن إبليس سيخرج من الكيس يستغيث. يضرب لصاحب الشر الشديد الذي لا يسلم منه أحد.

ومن شاء أن يطلع على المزيد من أخبار مَنْ ينهى عن السوء وهو أسوأ من السيئ، فليقرأ قصيدة «برز الثعلب يوماً في ثياب الواعظينا» لأمير الشعراء أحمد شوقي.

وعلموني أن أكون واضحاً وصريحاً، وألا أكون من «براها لله هالله ومن داخل يعلم الله»،⁽¹⁾ وفي المقابل اعتادوا على تطبيق «أسمعك اللي تبيه وأسوي اللي أبيه».⁽²⁾

وعلموني (اللي ما فيه خير بأهله ما فيه خير بالناس)،⁽³⁾ فلما طلب منهم أهلهم شيئاً تافهاً، ماذا فعلوا؟ «عشموهم بالخلق وخرمولهم الودان»!⁽⁴⁾ وعلموني أن أحفظ السر وأن «المجالس بالأمانة»،⁽⁵⁾ وهم يفصحون عن السر وقت الحاجة لأن (اللي تكسب بو اللعب بو).⁽⁶⁾

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. من برا: من الخارج. هالله هالله: تعبير مدح. معنى المثل: من الخارج يبدو جميلاً، ولكن في الباطن عكس ذلك. يضرب للشخص الذي يخالف ظاهره باطنه.

(2) تعبير يقوله بعض الناس. اللي: الذي. أبيه: أبغيه، أي: أريده. تبيه: تبغيه، أي: تريده. معنى المثل: أسمعك ما تحب وأفعل عكس ذلك. يضرب للشخص الذي يعد ولا يوفي بوعده.

(3) تعبير دارج في الكويت. اللي: الذي. معنى التعبير: الذي ليس فيه خير لأهله فلن ينفع غيرهم من باب أولى. يضرب تذكيراً بالاهتمام بالأهل أو يضرب نصيحة لبيان حال من كان مقصراً مع أهله لئلا يتعامل معه.

(4) مثل مصري. عشموهم: وعدوهم. بالخلق: حلق الأذن. خرمولهم: ثقبوا لهم. الودان: الأذان. معنى المثل: وعدني بحلق الأذن ولكنهم ثقبوا الأذن بدلاً من ذلك. يضرب لمن يعد بالخير ثم يفعل الشر.

(5) مقتبس من حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(6) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. بو: به. معنى المثل: اقتنص الفرصة ممن تستفيد منه. يضرب للشخص الاستغلالي أو لمن يقتنص الفرص الصحيحة.

وعلموني «لا تبوق لا تخاف»⁽¹⁾ ولكن «جتني التهايم وأنا نايم»⁽²⁾.
أه يا صديقي.. نعم.. علموني (لا تبوق لا تخاف)،⁽³⁾ ولكنهم
اتهموني بهتاناً وزوراً، فتيقنت أن (اللي ما يخاف من الله خف
منه).⁽⁴⁾

وعلموني ألا أذكر أحداً بسوء وإن كان من باب الإصلاح أو التحذير
والبيان، على الرغم أنه مطلب شرعي، وذلك بحجة أن «من نم لك نم
بك». وهم يمشون بالنميمة ويغتابون بحجة «الصراحة راحة».

وعلموني ألا أتغير مهما حصل معي من مواقف، ف«الحلو ما يتغير
ولكن الملاح ملاح». وهم اعتادوا «لما تنتهي المصالح الحلو يصير
مالح»!⁽⁵⁾

- (1) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. تبوق: تسرق. لا تخاف: لا تخف. معنى المثل:
لا تسرق ولا تخف. يضرب لعدم اغتراف المنكرات من أجل السلامة.
- (2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. جتني: جاءتني. التهايم. التهم. نايم: نائم. معنى
المثل: اتهموني بالباطل وأنا غافل لا أعلم ما يجري. يضرب للشخص البريء
المتهم بهتاناً وزوراً وليس له يد في الموضوع.
- (3) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. تبوق: تسرق. لا تخاف: لا تخف. معنى المثل:
لا تسرق ولا تخف. يضرب لعدم اغتراف المنكرات من أجل السلامة.
- (4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. معنى المثل: الذي لا يخاف من
الله فكن حذراً منه لئلا يتهمك بهتاناً وزوراً. يضرب للاحتراز ممن لا يخاف من
الله فيظلم.
- (5) مثل شامي ودارج في بعض البلاد العربية. معنى المثل: عندما تنتهي مصلحتك من
شخص ما فإنه يصير مبعوضاً من بعد ما كان حبيباً إليك. يضرب لبيان تغير حال
صاحب المصلحة قبل قضائها وبعدها.

وعلموني أن أكون شجاعاً وأنكر المنكر دائماً دون استثناء وألا أكون جباناً، ف«أم الجبان ما تفرح ولا تحزن».⁽¹⁾ وفي المقابل لا ينكرون كل منكر، ويقولون: الحكمة مطلوبة! فربما أزلنا المنكر وجاء الأسوأ منه. وهل تود أن ينطبق علينا المثل: «غاب عنا فرحنا، جانا اللي أثقل منه»؟!⁽²⁾

يا صديقي.. لا أقول سوى: (والله حيرتنا يا أقرع من فين نبوسك)!

(1) مثل دارج في بعض الدول العربية بألفاظ متقاربة. معنى المثل: من كانت أم لجبان فإنها لا تفرح لإنجازه بشيء، وفي الوقت نفسه فإنها لا تحزن لعدم إيدائه للآخرين. يضرب لحال أم الجبان.

(2) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية بألفاظ متقاربة. جانا: جاءنا. اللي: الذي. معنى التعبير: تخلصنا من مصاحبة فلان فارتحنا لذلك، ولكن جاءنا من هو أثقل منه. يضرب للشخص الذي ينتهي من مصاحبة السيئ فيأتي من هو أسوأ منه.

النفاق

علموني ألا أكون ذا وجهين، ممن إذا صاحب المصلين صلى وإذا صاحب المغنين غنى. وفي المقابل يصاحبون جميع الناس، سواء كانوا صالحين أو فجارًا، مع موافقتهم لهم وإن لم يقتنعوا، بحجة أن الحكمة مطلوبة و«اللي ترافقه وافقه»!⁽¹⁾

وعلموني ألا أصحاب الأندال، فقالوا: (لا تصاحب النذل، ولا تعاشر الخسيس، تشتريهم بالغالي، يبيعوك بالرخيص).⁽²⁾ وهم يصاحبون كل من هبّ ودبّ بحجة «إذا كان لك حاجة عند الكلب قوله يا سيدي».⁽³⁾

وعلموني أن «أبو البنات شايل على كتفو حسنات».⁽⁴⁾ ولكن زلّ

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. معنى المثل: من تصاحبه فلا بد أن توافقه وألا تختلف معه لثلاث تحصل النزاعات. يضرب للمجاملة.

(2) مثل شامي. يبيعوك: يبيعونك. معنى المثل: لا تصاحب النذل فإنك ولو بذلت كل شيء من أجله ولو كان ثمينًا فإنه سيبيعك بشيء رخيص تافه. يضرب للتحذير من مصاحبة النذل.

(3) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية وكثير من البلاد العربية بألفاظ متقاربة. قوله: قلّ له. والمقصود بالكلب: الشخص الدنيء أو النذل أو الحقير الذي لا بد وأن تتعامل معه لظروف تجبرك على التعامل معه وعدم وجود شخص بديل. معنى المثل: إذا كانت لك حاجة عند الشخص النذل أو الدنيء، فقل له: يا سيدي. يضرب للمجاملة والتعامل الحسن مع الشخص الدنيء حتى تنتهي مصلحتك منه.

(4) مثل شامي. أبو البنات: كناية عن الشخص الذي رزق ببنت. شايل: حامل. كتفو: كتفه. معنى المثل: الذي عنده بنت فإنه يحمل على كتفه حسنات. يضرب لهنتة أو تشجيع من عنده بنت.

لسانهم عندما رزقوا ببناات، فقالوا: «همّ البناات للممات»⁽¹⁾.
وعلموني أنه لا ينبغي أن ألقى نفسي في التهلكة، وقالوا: «مكان
العقرب لا تقرب»⁽²⁾. ولكنهم يجربون كل شيء وإن أهلكهم، بحجة
أن «كل ممنوع مرغوب».

وعلموني أن أبتعد عن الشر بقدر الإمكان، وقالوا: (الباب الليي
يجيك منه ريح سده واستريح)⁽³⁾. وهم يفعلون المنكرات بحجة
الحرية، ويقولون: أنا راضي وهو راضي وشدخل القاضي؟⁽⁴⁾

وعلموني ألا أحكم على المرء من أول مرة وألا أعمم، وقالوا «طول
العشرة تعرف الذهب من القشرة»⁽⁵⁾. ولكن أول ما يرون الشخص

(1) مثل وارد في بعض البلاد العربية. معنى المثل: والدا البناات يحملان هم بناتهما إلى أن
يموتا. يضرب لبيان خوف الأبوين على بناتهما أو يضرب لبيان شقاء من لديه بنات.
(2) مثل دارج في بعض البلاد العربية بألفاظ متقاربة، وبدلاً من «مكان» يقولون:
«محل» و«جنب» و«مطرح» إلخ. معنى المثل: لا تقرب مكان العقرب لمظنة لدغه
وإيذائه. يضرب للابتعاد عن الشر.

(3) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية وكثير من البلاد العربية. الباب: المدخل. الليي:
الذي. واستريح: واسترح. معنى المثل: الشيء الذي له مدخل سوء أغلقه قبل أن
يدخل أو قبل أن تفكر بالذهاب إليه. يضرب للابتعاد عن الشر.

(4) شدخل: ش: أيش: أي شيء: أي ما دخل القاضي؟. أصل المثل: «أبوها راضي وأنا
راضي ومالك أنت يا سيدنا القاضي» وهو دارج في بلاد الشام، وفي مصر بلفظ:
«أبوها راضي وأنا راضي وما لك أنت بقى يا قاضي». معنى المثل: إذا كان الطرفان
متفقين، فلا يحق للقاضي التدخل. يضرب لعدم التدخل بين اثنين في أمر قد تم
الاتفاق عليه.

(5) مثل شامي. العشرة: المعاشرة. الذهب: الذهب. القشرة: استعارة عن الشيء الرديء.
معنى المثل: من بعد طول معايشرة تعرف صاحب المعدن الطيب من الرديء. يضرب
للتأني عند الحكم على الآخرين.

الطويل يقولون «كل طويل هبيل»⁽¹⁾.

وعلموني أن أكون قوياً وأن أقاوم الباطل وإن كثر، وقالوا: (يا ناصر الستة على الستين)،⁽²⁾ وهم يستسلمون عند أول وهلة لأن بزعمهم (الكثرة تغلب الشجاعة).

نعم.. علموني أن (الحلو ما يتغير ولكن الملاح ملاح)،⁽³⁾ ثم تغيروا عندما ضعفوا بحجة «العايز أرعن»⁽⁴⁾.

لا يا صديقي.. تذكر قوة إيمان آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون، وكيف أنها لم تستسلم لجبروت فرعون بالإذعان له والكفر بالله.

وعلموني أن «الدين عمارة عين»⁽⁵⁾ وهم يستدينون ولا يرجعون ما عليهم بحجة أن «الفلوس وسخ دنيا».

وعلموني أن وعد الحر دين، وهم لا يفون بوعودهم بحجة أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. هبيل: أهبل. معنى المثل: طويل القامة أهبل. يضرب سخرية من الطويل.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: القليل قد ينتصر على الكثير. يضرب من باب التفاؤل أو الدعاء أو التشجيع ونحو ذلك.

(3) مثل دارج في بعض البلاد العربية. الملاح: المالح. معنى المثل: الصالح لا يتغير ولكن الذي يتظاهر بالخير سينكشف. يضرب عندما يتغير شخص ما إلى الأسوأ.

(4) تعبير دارج في الشام وبعض البلاد العربية بألفاظ مختلفة. العايز: العاجز، والمقصود الذي يطلب شيئاً ما. أرعن: من الرعونة، أي: أهوج. وفي بعض ألفاظ العامة: «أهبل» بدلاً من «أرعن». معنى التعبير: الذي يحتاج شيئاً ما قد يضطر للتنازل عن بعض الأشياء. يضرب لبيان حال المحتاج.

(5) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. عمارة: من العمى. معنى التعبير: من أخذ ديناً فإنه يصبح كالأعمى في التصرفات. يضرب تحذيراً من الاستدانة.

يا صديقي.. قلنا مرارًا لا تلعب بالنصوص.. ولا تحلل شيئًا لنفسك
وتحرمه على الآخرين.

وعلموني أن صلة الرحم واجبة وإن أسأؤوا، ف«الظفر ما يطلع من
اللحم»⁽¹⁾. فمشوا وهم يتكلمون عن فلان الذي لا يصل رحمه بأنه
عاق، وهم لا يصلون الرحم بحجة أن «الأقارب عقارب»⁽²⁾.

وعلموني أن الشجاع من يعفو عند المقدرة، وهم يعملون ب«اللي
يرشني بالمائي أرشه بالدم»⁽³⁾.

وعلموني الحديث النبوي الشريف «من غشنا فليس منا»⁽⁴⁾، ولكنهم
يغشون لأن «اللي عنده عقل وراس يعمل اللي بيعملوه الناس»⁽⁵⁾.

تذكر يا صديقي.. بالغش ستخسر والفوز للأمر!

وعلموني أن «أصفيّ النية وأنام في البرية»⁽⁶⁾، وهم يلتفتون يمينه

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: الظفر لا يخرج من اللحم. يضرب
ليبان صلة القرابة ونحو ذلك.

(2) تعبير دارج في كثير من البلاد العربية. معنى التعبير: الأقرباء مثل العقارب. يضرب
تحذيرًا من الأقارب في بعض الأحيان وحسب المقام.

(3) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. المائي: الماء. معنى التعبير: الذي
يؤذني بشيء يسير سأؤذيه بشيء مضاعف. يضرب تهديدًا لمن أراد سوءًا.

(4) أصله حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(5) مثل دارج في الشام ومصر بألفاظ متقاربة. اللي: الذي. بيعملوه: يعملونه. معنى
المثل: من يفكر جيدًا فإنه لا يخالف ما هو دارج عند الناس من أعراف ونحوه.
يضرب للالتزام بما عليه الناس.

(6) مثل شامي. معنى المثل: صف نيتك ولا تظلم أحدًا ثم نم حيشما شئت فلن يتعرض
لك أحد. يضرب لعدم الخوف عندما لا تظلم أحدًا.

ويسرة عند كل صيحة لأن «اللي على راسه بطحة يحسس عليها»⁽¹⁾.
وعلموني أن أحسن الظن بالجميع، فقالوا «لولا الظنة دخلنا
الجنة»،⁽²⁾ وهم يسيئون الظن بكل أحد بحجة أن «الاحتياط واجب».
وعلموني «تسكت فتسلم خير من أن تتكلم فتندم» ولكنهم
أقاموا الدنيا ولم يقعدوها بشتهم، وبرروا أن: «اللي ما بيخرب ما
بيعمر»⁽³⁾.

آه يا صديقي.. تبين أنك «تتعلم التحسونة في روس القرعان»⁽⁴⁾..
يا لك من متدرب مؤذ!

(1) مثل مصري ودارج في كثير من الدول العربية. اللي: الذي. بطحة: ورم أو جرح في الجبهة أو الرأس. يحسس: يلمس. معنى المثل: من كان على رأسه ورم أو جرح فإنه يحسس عليها. يضرب لمن يشك في نفسه عندما يتكلم الناس عن موضوع معين.

(2) مثل دارج في الكويت. الظنة: ظن السوء. معنى المثل: لولا ظننا السيئ والآثام المترتبة عليها لقلنا معاصينا، ومن ثم ندخل الجنة. يضرب تشجيعاً للابتعاد عن سوء الظن.

(3) مثل شامي. بيخرب: يخرب. بيعمر: يعمر. معنى المثل: الذي لا يخطئ لن يسير على مسار صحيح. يضرب لمعذرة المخطئ.

(4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية، وبألفاظ متقاربة في بعض الدول العربية. التحسونة: الحلاقة. روس: رؤوس. القرعان: جمع أقرع. معنى المثل: تتعلم الحلاقة وتندرب في رأس الأقرع. يضرب لبيان حال المبتدئ في عمل ما أو كشف حيلته أو نحو ذلك.

المواعيد وأقدار الله

علّموني أن «خير البر عاجله» إذا كان تعجيل الشيء من مصلحتهم، وإن لم يكن كذلك، قالوا: فيما بعد إن شاء الله، لأن «كل تأخيرة فيها خيرة».

وعلموني أن أحترم المواعيد وأن أكون «أضبط من ساعة الملا»،⁽¹⁾ وهم يتأخرون بحجة أن «كل تأخيرة فيها خيرة».

يا صديقي.. التأخيرة التي فيها خيرة هي التي تكون من الله بعد بذل الأسباب.. فكفّ عن اللعب والاستهانة.. ويا أصدقائي، لا تتأثروا بهذه الشبهات، ف«إن كان المتكلم مجنوناً فليكن المستمع عاقلاً».

وعلموني أن «الضم المزموم ما يدخله الدبان»،⁽²⁾ وهم «يفتحو فمهم على الدبان ويقولوا دا قضا الرحمن».⁽³⁾

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. أضبط: من الضبط والالتزام. الملا: مؤذن أو إمام المسجد. معنى المثل: مواعيده أدق من مواعيد الإمام أو المؤذن، وضرب المثل بهما للالتزام الشديد بموعد الأذان وإقامة الجماعة. يضرب لبيان احترام المواعيد.

(2) مثل شامي. المزموم: المغلق. الدبان: جمع ذبابة. معنى المثل: أغلق فمك ولن يدخل فيه شيء. يضرب حثاً على السكوت.

(3) مثل شامي ودارج في بعض البلاد العربية بألفاظ مختلفة. يفتحو: يفتحون. الذبان: جمع ذبابة. دا: هذا. قضا: قضاء. معنى المثل: يفتحون فمهم للذباب ويقولون هذا ما قدره الله علينا. يضرب تحذيراً من التواكل والاحتجاج بالقدر على أفعال المرء نفسه.

وعلموني أن أهتم وأربي أبنائي وإخواني الصغار، وقالوا منكبين: (خطو ولادكن عل الحيطان وقولوا هيدا شغل الشيطان).⁽¹⁾ ثم أتفاجأ بسلاطة لسان أبنائهم واعتدائهم بالضرب على غيرهم، وبرروا الموقف بأنهم صغار ولا تثريب عليهم، والله سلطهم عليك، وهذا من قدر الله، و«نصيبك يصيبك».

آه يا صديقي.. صدق من قال: (لما عيالكم يضربو عيالنا هذا حال الصغار.. ولما عيالنا يضربو عيالكم يا شوّم النهار!)⁽²⁾

(1) مثل دارج في لبنان وبعض الدول العربية. خطو: ضعوا. ولادكن: أولادكم. عل: على. الحيطان: جمع حائط. هيدا: هذا. معنى المثل: ضعوا أولادكم في المكان الخطأ فيتسببوا في فعل قبيح ثم قولوا أن الشيطان هو السبب. يضرب للكف عن إلقاء النفس إلى التهلكة.

(2) مثل دارج في كثير من البلاد العربية وأيضاً في شبه الجزيرة العربية بألفاظ متقاربة. عيالكم: أبنائكم. يضربو: يضربون. معنى المثل: حينما يضرب الصغار أبنائنا، يقول أبائهم: هذا حال الصغار، فإنهم يلعبون. وعندما يضرب أبنائنا أبناءهم، يغضب أبائهم لذلك وينسون ما قد قالوا. يضرب للأناحي الذي يحلل شيئاً لنفسه ويحرمه على الآخرين.

الصحة والتعامل

أخبروني أنهم كلهم أصحابي، ولكن في الحقيقة «الأصحاب في كل حته، والكويسين خمسة ستة».⁽¹⁾

قال الشاعر:

فما أكثر الإخوان حين تعدهم

ولكنهم في النائبات قليل

وعلمتني تصرفاتهم أن من أساء تعامله معي ينبغي أن أقول له:
صباح الخير يا جاري أنت لخالك وأنا لحالي..⁽²⁾ نعم.. أنت في دارك
وأنا في داري! ولا يلدغ المرء من جحر مرتين!⁽³⁾

وعلموني ألا أرجو ما هو صعب وما كان قريباً من المستحيل، وإن
كان معقول الحدوث، وقالوا: (اللي يجي من الله حياه الله).⁽⁴⁾

(1) تعبير دارج في مصر. حته: مكان. الكويسين: جمع كويس، وهو الشخص الحسن. خمسة ستة: استعارة عن العدد القليل. معنى المثل: الأصحاب في كل مكان يضحكون معك، ولكن عند الشدة يقف معك القليل. يضرب لبيان حال حقيقة الأصحاب.

(2) مثل دارج في الشام ومصر بألفاظ متقاربة. معنى المثل: يكتفي الجار أن يسلم على جاره ولا يتعامل معه. يضرب لعدم التعامل مع الآخرين والاكتماء بالسلام.

(3) مقتبس من حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية وكثير من الدول العربية. اللي: الذي. يجي: يجيء. معنى المثل: الذي يأتي من الله بتقديره وقضائه فهو مرحب به. يضرب لإحسان الظن بالله والتفاؤل بما يأتي.

وذكروا لي قول الشاعر:

راجي المحال عبيط

وأخر الزمر طيط

والمرء من غير حظ

لا شك جهل بسيط

ولكنهم سعوا في تغيير ما كان شبيهاً بالمستحيل، وقالوا: (لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة).⁽¹⁾

وعلموني أن أكون طبيباً ليناً، وقالوا «الراحمون يرحمهم الرحمن». ⁽²⁾ ولكنهم يقسون على الآخرين ويقولون «جلد مو جلدك جره على الشوك»!⁽³⁾

وعلموني أن «الضحك بلا سبب قلة أدب». وهم ثقلاء في مداعتهم، حتى وصفهم حكيمٌ بأن مداعتهم «زي مزح الحمير، طق ورفس وتحفير».⁽⁴⁾

وعلموني أن أصحاب ذا أخلاق حميدة وألا أغتر بالمظاهر، فقالوا

(1) حكمة دارجة على كثير من ألسنة الناس.

(2) مقتبس من حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(3) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: جلد غيرك جره على الشوك ولا تبال بمشاعر الآخرين طالما لن يصيبك أذى. يضرب للأثاني الذي يستغل الآخرين.

(4) مثل فلسطيني. زي: مثل. طق: ضرب. معنى المثل: مزاحه مثل مزاح الحمير الذي يضرب ويرفس. يضرب للثقل حينما يمازح.

ناصحين بنات الناس: «مكرش يصونك ولا أبو عضل يخونك».⁽¹⁾
وهم يختارون لبناتهم من عنده المال ثم يذمون من يجري وراء المال
قائلين:

رأيتُ الناسَ قد مالوا
لمن عندهم مال
ومن ليس عنده مال
الناس عنه قد مالوا
لا إله إلا الله.. يا أصدقائي.. أين أنتم من قول الشاعر:
إنِّي شممتُ من العطورِ جميعِها
وعرفتُ أطيَبَها على الإطلاقِ
كلُّ العطورِ سيتهي مفعولُها
ويدومُ عطرُ مكارمِ الأخلاقِ

(1) مثل شامي. مكرش: صاحب بطن كبير. أبو عضل: كناية عن الشخص الوسيم وصاحب جسم متناسق. معنى المثل: اختاري صاحب الأخلاق وإن كان سيء المنظر ولا تختاري الوسيم الخائن. يضرب لحسن الاختيار وعدم الانخداع بالمظاهر.

الكلام والسكوت

علموني إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، وهم يكثرون الكلام حتى نسوا أن «من كثر هذره قل قدره».⁽¹⁾

وعلموني ألا أكون خبيثاً كأن أخبئ عنهم شيئاً، فقالوا: «السكوتي لوتي».. و«الساكت سم ناكث».⁽²⁾ وهم لا يفصحون عن حياتهم شيئاً، ويقولون: نحن نمثل لقول النبي صلى الله عليه وسلم «أقضوا حوائجكم بالكتمان».⁽³⁾ إذا يا صديقي؛ بأي حق اتهمت غيرك بالسوء وبررت لنفسك الفعل نفسه؟! كم نحتاج إلى إعادة نظر إلى كثير من أقوالنا وأفعالنا.

وعلموني أن «الخسارة في العمر» وقالوا: نحن معك.. نعينك ونعاونك.. فلما خسر فلان في تجارته التي لم يخبر أحداً عنها، تعجبوا كيف استطاع فتح تجارته الخاصة؟ ومن أين له المال؟ تركوه يعاني وحيداً قائلين: «يا ما تحت السواهي دواهي».⁽⁴⁾

(1) مثل دارج في الكويت. هذره: الكلام الذي لا فائدة منه. معنى المثل: من يكثر كلامه يقل قدره عند الناس. يضرب لحفظ اللسان.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: الساكت مثل السم الناكث. يضرب للساكت الذي يقضي حوائجه بالكتمان.

(3) أصل لفظ الحديث: (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود)، حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1453). وذهب الجمهور إلى جواز رواية الحديث بالمعنى بشروط، وليس هذا محل ذكرها.

(4) مثل دارج في كثير من البلاد العربية. السواهي: جمع ساهي وهو الشخص الغافل. دواهي: جمع داهية. معنى المثل: الساكت قد يكون داهية فينبغي عدم الاغترار بسكوته. يضرب لبيان حال الساكت في بعض الأحيان.

وعلموني ألا أكنتم علمًا لأن في ذلك بخلاً، وقالوا: (البخل عدو
المرجلة).⁽¹⁾ ولما تعلموا بدؤوا بالتنقص من غيرهم حتى انتقصوا من
معلمهم، وذكروني بما يقوله أهل المغرب: (أمنحه الحبال وأخذ يقيدني
بيها).⁽²⁾

آه يا أصدقائي كم هو مؤلم.. أين أنتم من المثل: (لولا الرببي ما
عرفت ربي)؟⁽³⁾ ولكن صدق الشاعر لما قال:

أَعْلَمُهُ الرمايَةَ كُلَّ يَوْمٍ

فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي

وَكَمْ عَلِمْتُهُ نَظْمَ القَوَافِي

فَلَمَّا قَال قَافِيَةً هَجَانِي

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. المرجلة: الرجولة، والمقصود: الصفات الحسنة.

معنى المثل: كون الإنسان بخيلاً فذلك يعيبه. يضرب لبيان سوء حال البخيل.

(2) مثل مغربي. بيها: بها. معنى المثل: أعطيه الحبال مساعدة له، ولكنه أخذها ليقيدني
بها. يضرب لمن يرد الإحسان بالإساءة.

(3) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. معنى المثل: لولا المعلم الذي علمني حقوق الله
وصفاته، لم أكن لأعرف ربي حق المعرفة. يضرب لبيان فضل المعلم الذي يعلم
شرع الله.

تناقضات متفرقة

علموني أن كل شخص له نقطة ضعف، فقالوا: (بذك تبهدل رجّال، فلت عليه مرا، بذك تبهدل مرا، فلت عليها ولد)،⁽¹⁾ ولكنهم علموني نقطة ضعف خاطئة فيهم لئلا يصطادوا بالماء العكر.

وعلموني أن في ساعة الشدة قد ينكر المرء ما كان يعرفه ساعة الرخاء.. ففي الرخاء قالوا لي: «دوام الحال من المحال».. وفي الشدة نسوا هذا الشيء فقالوا مبررين: «اللي يده في الماي مو مثل اللي يده في النار».⁽²⁾

وعلموني أن «ثوب مو ثوبك لا تلبسه»⁽³⁾.. وهم يلبسون أفخر الثياب وليس في جيبهم فلس! ف«سرواله حمر يרטخ وما عنده جدر يطبخ».⁽⁴⁾ وصدق من قال: «لا تغرك الدار وتباريكها، ترى راعية

(1) مثل لبناني. بذك أردت. تبهدل: تهين. رجّال: رجل. فلت: أطلق. مرا: امرأة. معنى المثل: إذا أردت أن تهين الرجل فاجعل امرأة تتعامل معه، وإذا أردت أن تهين امرأة، فاجعل طفلاً ينشغل معها. يضرب لبيان أن لكل شخص نقطة ضعف.

(2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. اللي: الذي. الماي: الماء. مو: ليس. معنى المثل: من كان يده في الماء ويمر بالرخاء ليس كمن كان يده في النار ويمر بمصيبة. يضرب لبيان عدم شعور من يعيش رخاء بمن يعيش بمصيبة.

(3) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. مو: ليس. معنى المثل: لا تدّعي شيئاً وأنت لست ذاك الشخص. يضرب لمن يخفي شخصيته أو يدّعي شيئاً لا يملكه سواء من صفات معنوية أو أشياء حسية.

(4) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. سروال: لباس يغطي الجسم من السرة إلى الركبتين أو إلى القدمين، وجمعه سراويل. حمر: أحمر. يרטخ: يلمع. جدر: قدر. يطبخ: يطبخ فيه. معنى المثل: لبسه يلمع من فخامته وغلاء سعره، ولكنه ليس عنده قدر ليطبخ فيه. يضرب لمن يتظاهر بالغنى وهو عكس ذلك.

البيت على ريقها»⁽¹⁾.

وعلموني أن «أنفق ما بالجيب ويأتيني ما بالغيب»⁽²⁾ دون خوف أو سوء ظن بالله.. وهم لا ينفقون أي فلس ويقولون: «الفلس الأحمر لليوم الأسود»⁽³⁾.

وعلموني ألا أعمل من «الحبة قبة»⁽⁴⁾ وهم يعملون «عويل وصريخ على حته بطيخ»⁽⁵⁾.

وعلموني أن أبتعد عما يؤذي، فابتعدت عنهم وجاءني من هو أثقل منهم.. وتذكرت المثل: «غاب عنا فرحنا، جانا اللي أثقل منه»⁽⁶⁾. وفي ذلك قال الشاعر:

- (1) مثل بحريني. تباريها: ما كان مباركاً في الدار من الاهتمام به وتزيينه ونحو ذلك. ترى: كلمة تنبيه ولعلها مأخوذة من تراءى. معنى المثل: لا يغرك المظهر، فإن صاحبة البيت لا تملك المال. يضرب لمن يظهر أنه غني وهو خلاف ذلك.
- (2) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. الجيب: مخبأ في القميص أو الثوب ليوضع فيه النقود ونحو ذلك. معنى المثل: أنفق مما آتاك الله، والله سيعوضك. يضرب للحث على الصدقة.
- (3) تعبير دارج في الكويت. معنى التعبير: حافظ الفلس ليوم الشدة. يضرب لحفظ المال وعدم التبذير. تنبيه: اليوم الأسود هنا من باب الوصف وليس الذم، ولا يجوز ذم الزمن لورود حديث قدسي في النهي عن ذلك، وأن الله هو الدهر يصرفه كيفما شاء.
- (4) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية. قبة: بناء مستدير. معنى التعبير: يعمل من الشيء الصغير مشكلة كبيرة. يضرب لمن يضخم صغار الأمور لأنفه الأسباب.
- (5) مثل شامي. عويل: بكاء بصوت مرتفع. صريخ: صراخ. حته: جزء. معنى المثل: يعمل مصيبة من شيء صغير تافه. يضرب لمن يضخم صغار الأمور لأنفه الأسباب.
- (6) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية بألفاظ متقاربة. جانا: جاءنا. اللي: الذي. معنى التعبير: تخلصنا من مصاحبة فلان فارتحنا لذلك، ولكن جاءنا من هو أثقل منه. يضرب للشخص الذي ينتهي من مصاحبة السيئ فيأتي من هو أسوأ منه.

مات في القرية كلبٌ
فاسترحنا من عواه
خلف الملعونُ جرّواً
فأق بالنبح أباه

وعلموني أن أفرح حينما يضمحل الشر ويختفي أهله، فقالوا:
«زغرطي يا انشراح اللي جي أحسن من اللي راح»،⁽¹⁾ ولكنني تفاجأت
بقدوم الأسوأ حالا من ذي قبل فقلت: (غاب عنا فرحنا، جانا اللي أثقل
منه).⁽²⁾ ويقول أهل مصر: (من عماهم قالوا الخير جاهم).⁽³⁾

وعلموني أن أغير طبعي الذي لا يعجبهم، ولما قلت: لا أستطيع،
قالوا: كل شيء يتغير، ف«دوام الحال من المحال» و«التكرار يعلم
الشطار»⁽⁴⁾... وعندما أمرتهم بتغيير طبع من طباعهم، قالوا: لا
نستطيع، ف«من شب على شيء شاب عليه».

وعلموني أن أكون جاداً في حياتي وألا أضيع وقتي وأن أهتم
بالعلم ف«العلم نور». ولكنهم كثيراً ما يتنزهون ويقولون «الضحك
للإنسان مثل السماد للبستان»!

- (1) تعبير مصري. زغرطي: صوت يخرج من أهل العروس عند الفرح بالزواج. انشراح: اسم بنت. اللي: الذي. جي: القادم. معنى التعبير: افرحي يا انشراح، فإن القادم أفضل مما مضى. يضرب في بث التفاؤل وإحسان الظن بالله.
- (2) تعبير دارج في شبه الجزيرة العربية بألفاظ متقاربة. جانا: جاءنا. اللي: الذي. معنى التعبير: تخلصنا من مصاحبة فلان فارتحنا لذلك، ولكن جاءنا من هو أثقل منه. يضرب للشخص الذي ينتهي من مصاحبة السيء فيأتي من هو أسوأ منه.
- (3) مثل مصري. عماهم: العمى. جاهم: جاءهم. معنى المثل: لعدم إدراكهم لحقيقة الأمر قالوا إن الخير قادم وهو خلاف ما هو عليه. يضرب لمن يحكم بتسرع دون إدراك حقيقة الأمر.
- (4) الشطار جمع شاطر، وأصل معناه في كلام العرب: المتباعد من الخير، قاطع طريق.

وعلموني أن أتفاعل دوماً، فقالوا: (تفاءلوا بالخير تجدوه). وهم متشائمون دائماً ويقولون عند رؤية أي شيء: (يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم).⁽¹⁾

وعلموني أن لكل «مجتهد نصيب»، ولكني رأيت أقلهم اجتهاداً أكثرهم نصيباً، ويقولون: (البقاء للأقوى). ولعلمهم تناسوا أن «البقاء لله» وما كان لله يبقى، وما كان لغيره يفنى.

نعم.. علموني أن «الحق أبلج والباطل لجلج»⁽²⁾ ومع ذلك فهم يطبقون «خذوهم بالصيحة تغلبوهم»⁽³⁾ وإن لم يكن الحق معهم، والمفاجأة أنهم يفوزون بالنهاية، والناس يصفون معهم، ولا أدري أين يذهب الحق الأبلج!

وعلموني «احترم تحترم» وما رأيتهم أنهم لا يحترمون المحترم ويحترمون قليل الأدب، فقالوا: لأن المحترم لا يظلم وإن ظلم، وأما قليل الأدب فينطبق عليه «اللي منت قدو لا توقف ضدو».⁽⁴⁾

وعلموني وعلموني وعلموني... آه يا صديقي.. أكتفي بذلك.. فلا أستطيع أن أذكر المزيد.

-
- (1) تعبير مصري. يقال تشاؤماً حينما يرى المرء شخصاً لا يحبه ولا يعجبه.
 - (2) مثل عربي فصيح. أبلج: واضح وظاهر. لجلج: المختلط الذي ليس بمستقيم. معنى المثل: الحق ظاهر وبيّن والباطل ليس بيّن. يضرب لاتباع الحق.
 - (3) مثل مصري. معنى المثل: اصرخ على من كان أمامك لتغلبه. يضرب لصاحب الحجّة الضعيفة الذي يحاول أن ينتصر بالصراخ بدلاً من إبداء الحجّة والدليل.
 - (4) مثل شامي. اللي: الذي. منت: ما أنت. قدو: قده: مساو له في القدرة البدنية أو المنصب أو نحو ذلك. معنى المثل: الذي لا تستطيع مواجهته لقوته فلا تظهر له العداة. يضرب لعدم مجابهة القوي.

الخاتمة

هكذا هم كثير من الناس.. إذا عرفت عنهم هذه الأخلاق وصادفتهم ابتعد عنهم.. ومن أصر أن يسلم عليهم فالحال يكون «الشفاييف تتبأوس والقلوب تتداوس».⁽¹⁾ يقول هلا وفي القلب بلا⁽²⁾.

والنهاية غير المتوقعة أن بعضهم اعترفوا بذنوبهم، وعلموني -مع قبح صنيعهم- أن هناك صالحين وينبغي ألا أياس في البحث عنهم، و«أصابع اليد ما هي سوا»،⁽³⁾ وأن «الله خلق وفرق».

وصرت أكره التعرف على أناس جدد وأقول في نفسي: (نخاف نزيد نحركك يا غربالي، ويطيح اللي حسبتو غالي).⁽⁴⁾

كما أنني لم أشته شيئاً بعد ذهاب هذا العمر، ولا أرجو شيئاً من أي أحد، قائلاً:

قل للرياح تأتي كيفما شاءت

فما عادت سُفننا تشتهي شيئاً

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. الشفاييف: جمع شفة. تتبأوس: من البوس وهي القبلة. تتداوس: من الدوس وهو المشي فوق الشيء. معنى المثل: الشفتان تقبل وهي دلالة على الحب، بينما القلب يكره الذي قبله. يضرب للشخص الذي يخالف ظاهره باطنه.
(2) بلا: بلاء.

(3) مثل دارج في شبه الجزيرة العربية. سوا: سواء. معنى المثل: أصابع اليد ليست سواء، فمنها القصيرة ومنها الطويلة. يضرب لبيان اختلاف الشيء من جنس واحد.

(4) مثل دارج في الجزائر. غربال: أداة دائرية يغربل بها الطحين وما إلى ذلك، تشبه الدف. يطيح: يسقط. حسبتو: حسبته. معنى المثل: نخاف أن نختر بعض أو نجرب من نظنه غالباً ثم يتبين لنا عكس ما كنا نظن فيه. يضرب لخوف خسارة عزيز.

آه يا أصدقائي الأعزاء.. شكرا لكم.. كم أنا ممتن لكم.. وما أجمل التعبير الشعبي الذي يقول: (لو ما شرقت بريجي ما عرفت عدوي من صديجي).⁽¹⁾

وفي هذا يقول الشافعي رحمه الله:

جزى الله الشدائد كل خير

وإن كانت تغصصني بريقي

وما شكري لها حمداً، ولكن

عرفت بها عدوي من صديقي

وقال الشاعر التونسي محمد بو شريبة:

جزى اللهُ غدرَكَ بي كُلَّ خَيْرٍ

ولا زالَ قِدْحُكَ فيَّ عَلِيًّا

فقدَ علِمَ النَّفْسَ أنْ لا وُثُوقَ

بِخِلٍّ وَلَوْ كانَ خِلاًّ وَفِيًّا

وقال الشاعر:

إن لم تكن لي والزمان شرم برم⁽²⁾

فلا خير فيك والزمان ترللي⁽³⁾

(1) تعبير دارج في الكويت. بريجي: بريقي. صديجي: صديقي. معنى التعبير: لو لم أشرق بريقي لم أعرف عدوي من صديقي. يضرب للمرء يعرف أعداءه من أصدقائه حينما يأتيه البلاء والمحن.

(2) والزمان شرم برم: أي: في الضراء.

(3) والزمان ترللي: أي: في السراء.

قالت الحكماء قديماً: أحق من شاركك في النعمة شركاؤك في المصيبة.

وقالوا في المثل: (اللي لا يطعمك عند جوعك، ولا يحضر لك في مصايب، لا تحسبو من فروعك، كان حاضر وإلا غايب).⁽¹⁾

وأختم بشعر جميل للشيخ صقر القاسمي:

أَيُّهَا الْبَائِسُ إِضْحِكْ وَاتَّخِذْ

لَكَ مِنْ ضِحِّكَ لِلخَطْبِ سِلَاحًا

وَاحْذِرِ النَّوْحَ فَكَمْ بَاكٍ بِكِي

هَدَّه النَّوْحُ وَلَمْ يَلْقَ نَجَاحًا

(1) مثل دارج في بلاد المغرب العربي. اللي: الذي. تحسبو: تحسبه. معنى المثل: الذي لا يقف معك في الشدة والمصائب فلا تعتد به. يضرب لعدم الاهتمام بمن لا يقف عند الحاجة.



**سامحني..
فقد كنت صغيراً..
وليتني لا زلت صغيراً
ولم أفهم عجائب الحياة!**



سامحني.. فقد كنت صغيراً.. وليتني لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

مقدمة

مَنْ مثلاً لم يفكر في تغيير مبدأ واحد من مبادئه -على أقل الأحوال-
ولو لبرهة من الزمن؟ أو لموقف واحد على الأقل؟

إن الطفل الصغير أو الشاب الذي لم يكتسب خبرة كافية من الحياة
بمعاشرة الذئاب البشرية؛ تكون فطرته سليمة، وربما نادراً ما يسيء
الظن، لأنه طيب، فيرى جميع الناس طيبين، فلا مانع لديه من فضح
الكاذب، وإظهار البغض للفاجر، والنفور من التعامل مع المنافق.

فيأتي مدعي الصداقة -الثعلب الماكر في ثياب الواعظين- ليعيد
سليم النية والأفعال عن الصدع بالحق من أجل مصلحته الخاصة، أو
لأجل حَفَنَةٍ من حَفَنَاتِ الدنيا الزائلة، وكثيراً ما يدعون أنه مخطئ
بحجة أنه «لا يزال صغيراً»!

هذه خواطر على لسان من تغيرت مبادئه، ولا زال ضميره
يؤنبه. وإن كنا مقصرين، لكن الحقُّ أحقُّ أن يتبع.. وسامحوني إن
كانت بعض العبارات قاسية، فربما لم أزل صغيراً، وتقبلوا مني فائق
الاحترام والتقدير.

وأختم بما قال الشاعر الكويتي فهد العسكر:

أسفًا على عمر تقضى

بين أطفالٍ كبارٍ

بين المنافق والمخادع
والمُداجي والمُداري
غرسوا فقل لي هل جنوا
غير المذلة والصغار؟
متذئبون ولو ثغت
شاة، للاذوا بالفرار

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. ولينتي لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

السرقَة

سَرَقَ صديقي فقلت له:

- لماذا تسرق؟ فما تفعله حرام شرعاً، ومخل بالمروءة. والمصيبة الأكبر إنك لا تسرق إلا الضعفاء والمحتاجين! ظلمات بعضها فوق بعض.

- ليس عندي وظيفة.. أتريدني أن أموت من الجوع؟ العاطل إذا جاع سرق.

- أكملها.. وإذا شبع فسق. لكن أجبني بالله عليك: هل الغاية تبرر الوسيلة؟ الخطأ لا يُعالج بالخطأ.

قال لي والشرارة في عينيه: ما زلت صغيراً، ستكبر وتفهم.

نعم كنت صغيراً، وكنت متيقناً أن الحرام حرام.. ولكنني كبرت فبدأت بالتماس الأعذار الباردة، والتقيت بصديقي القديم بعدها مرة أخرى، وقلت له:

- «المال السايب يعلم السرقَة»⁽¹⁾ وإن كان أحد أحق باللوم، فاللوم على من سمح بالسرقَة، ومن له النصيب الأكبر من اللوم هو من أوصلك إلى هذه المرحلة، ولا لوم عليك يا صديقي!

(1) مثل مصري. السايب: المتروك بلا رقابة. معنى المثل: المال المتروك بلا رقابة أو حراسة يعلم الناس على التماذي عليه وأخذه. يضرب لعدم ترك شيء بلا رقابة، ويضرب أيضاً لتبرير التعدي على مال الغير.

- الآن كبرت وعقلت.

- سامحني على ما بدر مني قديماً.. فقد كنت صغيراً!

حكمة: الحال قد يدعو إلى مستقبل غامض ومخيف. قال الشاعر
محمد بو شريبة التونسي:

تشاءمتُ من حالي وما انتاب خاطري

بأنِّي مُلاقٍ في مسيري دواها

مسيرٌ بدأناه بدمع مرقق

ونختمه بالمزعجات بقائيا

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. ولينتي لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

الجلوس مع المفسدين

كان يجلس مع أناس مفسدين، فقلت له:

- لا تجالسهم! المرء على دين خليله!
- ما زلت صغيراً ولا تفهم الحياة؛ أجالسهم لمصلحة.
- وأي مصلحة أعظم من الحفاظ على دينك ومبادئك؟ ف«من جاور الحداد انكوى بناره»، وإن لم يحرقك الحداد فلا بد أن تتأثر بشرارة أو رائحة كريهة من دخان. قس ذلك على جلساتك أصحاب السوء؛ فلا بد أن تنافق وتقع في الخطأ لكي ترضيهم وتجاريهم.
- ستكبر وتفهم.
- كنت صغيراً وكنت متيقناً أن ما قام به منكراً لا يُقبل التفاوض فيه، ولكن حينما كبرت وواجهته صدفة، قلت له:
- ما كنت تفعله قديماً هو عين العقل، اجلس مع من تستفيد منه، وإن بلغ ما بلغ من الفسق والفجور! وكما يقولون: «أحبك يا نفاعي لو كنت عدوي».⁽¹⁾
- الآن فهمت الدنيا وأصبحت رجلاً!

(1) مثل دارج في شبه الجزيرة ومعناه: أحبك يا من تنفعني ولو كنت عدوي. يضرب للشخص الذي يتنازل عن بعض قيمه أو مبادئه ليرضي عدوه حتى يصل إلى ما خطط إليه.

- سامحني على ما بدر مني قديماً.. فقد كنت صغيراً!
تحسرت أسفاً، وفي داخلي بركان يكاد أن ينفجر، لكن اكتفيت أن
أقول في نفسي: ليتني لم أزل صغيراً!

حكمة: الدنيا عجيبة. قال الشاعر التونسي محمد بو شريّة:

يسعدُّ الجاهلون فيها ونشقى
وينالُ الغبيُّ منها الأمانى
فحياة كهذه القبرُ خيرٌ
من بقاءِ بها ولو في الجنان

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. وليتني لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

الرشاوي

رأيتهم يرشون غيرهم، فقلت لهم:

- لعن الله الراشي والمرشي. (1)

- هذه هدايا وليست رشوة، وما شأنك أنت؟!

- العبرة ليست بتغيير الأسماء، إنما العبرة بالمسميات والحقائق.

- أنت صغير، ستكبر وتفهم.

كبرت وواجهتهم يوماً وهم يفعلون الفعل نفسه مجدداً، فقلت

لهم:

- ما أجمل أخلاقكم.. نعم تهادوا تحابوا.. الهدايا تقوي

العلاقات!

وأضمرت في نفسي: من بعد ما كنت معارضاً، صرت أبحث لهم

عن أعذار وألصقتها بالدين! يا لوقاحتي!

- الآن نستطيع أن نقول إنك نضجت وأصبحت تفهم الحياة.

- سامحوني على ظلمي لكم في الماضي.. فقد كنت صغيراً.

حكمة: ما فائدة بقاء المال إن كنا راحلين؟ ما أجمل قول الشاعر

التونسي محمد بو شريّة:

(1) أصله حديث نبوي رواه أحمد في المسند وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ولا خيرَ في المالِ إن لم يُكُنْ
لِيُنْقَذَ قُطْرًا وَيَحْمِي وَطَنَ
وَيُدْفَعُ بؤْسًا وَيَغْسِلَ عَارًا
وإلا فلا خيرَ فيهِ إِذْنَ

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. وليتني لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

السب والتطاول

كانوا يسبون ويشتمون ويطعنون باسم الرجولة والشجاعة، فأنكرت عليهم، ولكنهم قالوا: ما زلت صغيراً لا تفهم.. فلا بد أن تأخذ حقلك بيدك.. تكبر وتفهم.

مرت الأيام ورأيت موقفاً مشابهاً.. فقلت لهم: الحقوق يبيلها حلوق. خذوهم بالصيحة تغلبوهم.. خيراً تفعلوا..

قالوا: الآن فهمت الحياة!

ابتسمت لهم، فظنوا أنها ابتسامة رضا، ولم يدروا أن ليس كل ابتسامة تدل على الرضا. وفي ذلك قال المتنبي:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة

فلا تظن أن الليث يبتسم

إنها ابتسامة غضب.. نعم.. غضب على نفسي وليس على أحد
سواي!

انصرفت عنهم قائلاً في نفسي: ليتني لم أفهم الحياة.. وليتني لا
زلت صغيراً.

حكمة: ليس كل ابتسامة تدل على الفرح أو التأييد. وما أجمل قول
الشاعر الشيخ صقر القاسمي:

إِنَّ الحِياةَ شقاءٌ كُلُّها، فإذا
لا بُدَّ منها، فحاذِرِ صُحبةِ الناسِ
ولا يَغُرَّنكَ منهم ثَغْرٌ مُبتسم
ما الابتسامَةُ في ثَغْرِ بِمِقياسِ

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. وليتني لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

التدخل بين اثنين

تشاجر صديق مع آخر وقد ظلمه، فقلت له لا تظلمه، وإن ظلمته فأبشرك بالظلم ولو بعد حين، والجزاء من جنس العمل.

قال: لا تتدخل بين اثنين، فذلك أمر لا يعينك.

قلت: ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً؟⁽¹⁾ أم إنه حبرٌ على ورق، وكلامٌ يقال على المنابر فحسب؟

قال: لا تفسر الحديث بهواك.. أنت صغير.. تكبر وتفهم أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

قلت: طيب أنا صغير.. وماذا عن الحديث: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه).⁽²⁾

مشى وتركني.

كبرت ووقفت مع قريبي الظالم خشية أن يقول الناس أنني لا أخدم أقاربي، فينطبق علي وصف العقرب في قولهم الأقارب عقارب، ثم يُثنون بقولهم: (اللي ما فيه خير بأهله ما فيه خير بالناس).⁽³⁾

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه.

(2) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(3) تعبير دارج في الكويت. اللي: الذي. معنى التعبير: الذي ليس فيه خير لأهله فلن ينفع غيرهم من باب أولى. يضرب تذكيراً بالاهتمام بالأهل أو يضرب نصيحة لبيان حال من كان مقصراً مع أهله لثلاث يتعامل معه.

جاءني صديقي القديم بعدما كشفني، وقال: ألم تقل إنك تقف مع
المظلوم «ولو على قطع رقبتك»؟ ماذا حصل؟

قلت: لا أستطيع تحمل لوم الناس، وسامحني على ما بدر مني قديماً
لأنني لم أشعر بمشاعرك.. فقد كنت صغيراً.

حكمة: ما أسهل سلوك طريق النفاق، وما أثقل سلوك طريق الحق!
قال الشاعر محمد بو شريّة:

وجدتُ طريقَ العيشِ سهلاً مُعبداً

لكلِّ خسيسِ النفسِ بادي المعايِبِ

وَأَلْفَيْتُ بَابَ الارتزاقِ مُغلَقاً

أمامَ عزيزِ رامٍ نيلَ المآربِ

فَأُفُّ لَدُنْيَاكُمْ يَصَانُ ذَلِيلَهَا

وَتُرْمَى بِهَا أَشْرَافُهَا فِي المعاطِبِ

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. وليني لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

النّام

لم يؤدّ زميلي في المدرسة واجبه المنزلي.. فقلت له: المدرس أبلغنا في غيابك أنه سيعاقب من لم يؤدّ الواجب المنزلي، حاول أن تكلمه وتعتذر منه لئلا يعاقبك.

غضب صاحبي، وقال: أنت نمام. اترك هذه العادة. قلت له: وما علاقة كلامي بالنميمة؟ قال: أنت تقصد أمراً آخر، لا تتظاهر بالطيبة. قلت له: حاضر.

كبرنا وتوظفنا، وفي الوظيفة أبلغنا المدير أنه سيفصل عن العمل صاحبي ذاك نفسه.

لم أتكلم، وتداعيت أنني لم أعرف شيئاً عن الموضوع، وفُصل صاحبي عن العمل، وأخبروه أنني كنت أعلم بالموضوع ولم أخبره، مع الرغم أنني صاحبه المقرّب.

جاءني صاحبي معاتباً، فقلت له: والله حيرتني يا أقرع من فين نبوسك. إذا أخبرناك قلت تماماً، وإذا سكتنا قلت أنت غششتني وأنت مخادع. لماذا لم تتهم من أخبرك بالخبر بأنه نمام؟ وسامحني هذه المرة لأنني لم أبلغك، فلم أعد صغيراً، كبرت وفهمت الدرس!

حكمة: وصول الطغيان ذروته قد يكون بداية الفرج. وما أجمل قول الشاعر التونسي محمد بو شريبة:

جزى الله جورَ الظالمين فإنه
أرى لذوي الطغيان عُقبى التسيطرِ
طغى الظلمُ واجتاح الذين تَسَبَّؤا
لنا فيه فانهارت صُرُوح التَّجَبُّرِ

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. وليتني لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

أخذتُ مكانَ غيري

اثنان تقدما لوظيفة، فلم يقبلوا الأكفأ لأن منافسه يقرب لمن بيده الأمر، فرفضوه وقبلوا قريبهم.

قلت لهم: أعوذ بالله من قهر الرجال.. أين الكفاءة؟

قالوا: اسكت.. أنت ما زلتَ صغيراً ولا تفهم الحياة.

كبرت، فأخذت حق غيري.. والتاريخ يعيد نفسه.. وكما تقول العرب قديماً: (ما أشبه الليلة بالبارحة).⁽¹⁾ اعتذرت من أصدقائي القدامى قائلاً لهم: سامحوني عما بدر مني قديماً، فقد كنت صغيراً.

ضحكوا قائلين: الحمد لله إنك اعترفت.

- الاعتراف بالذنب فضيلة، فمن ذا الذي ما ساء قط، ومن ذا الذي له الحسنى فقط.

- أحسنت.

انصرفت عنهم قائلاً في نفسي: يا لنفاقي.. الاعتراف بذنبي القديم فضيلة؟ المفترض أن يكون ذنبي القديم هو المعروف والمعمول به بين الناس.. لكن سبحان مغير الأحوال. ولا أقول سوى: ليتني ما زلتُ صغيراً.

حكمة: قد يبلغ يأس بعضنا إلى خيال واسع، فربَّ أحدنا ظنَّ أنه ينبغي أن يُباد جميع من في الأرض وإرسال أقوام آخرين حتى يعم

(1) وشبَّه به تعبير معاصر: (التاريخ يعيد نفسه).

العدل والسلام. والعجيب أن هذا المعنى وجدته في قول الشاعر
محمد بن شريبية:

وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ قَوْمَنَا

وصيرَ أصقاعَ الفسادِ خواليًا

وأرسلَ قومًا يحكمون بأمره

عسى يُبعثُ الإسلامُ في الأرضِ ثانيا

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. وليتني لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

الانتقام الخاطيء

اختلف مع صديقه، وكلاهما قطعاً التواصل عن بعضهما بعضاً من دون ترك أثر سلمي على الآخر. لكنه أبى إلا أن ينتقم من ابن صديقه الذي يدرسه في المدرسة.

فقلت له ناصحاً: أين نحن من قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوٓا۟ أَعْدِلُوٓا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8].
فلا تتجاوز بالعدوان على من ظلمك!

قال: من يستطيع أن يطبق هذه الأشياء الآن، هذه تكاد تكون مواعظ تقال فحسب، أو ترسل كرسائل في التواصل الاجتماعي صباحاً ومساءً.

قلت: لماذا لا نقاد للحق وإن خالفه من خالفه. أليست الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك؟.. ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: (أدّ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك)⁽¹⁾ واحسرتاه أن نجعل هذا الكلام حبراً على ورق، وكلاماً يقال مجرداً عن الأفعال.

قال: لا تثرثر، أنت صغير، ستعرف فيما بعد من المصيب ومن المخطيء.

كبرت، وظلمت من ظلمني وزيادة، وظلمت من أحسن إليّ أيضاً، ولا تسألني عن السبب، فهو مرض نفسي. ثم كشفني صديقي القديم،

(1) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

لكني لم أدع له فرصة للكلام، فقلت مبادراً: التأديب من صفات الرجال، وليس برجل من لم يأخذ حقه بيده. وسامحني على ما بدر مني قديماً، فقد كنت صغيراً.

ابتسم صديقي وانصرف وهو يهز رأسه، لكنني قلت في نفسي: كم أحتقر نفسي، فليتني لا زلت صغيراً.

حكمة: احذر من العدو في ثياب الصديق. قال الشاعر التونسي محمد بو شربيّة:

أشَدُّ الذي يلقاهُ في دَهْرِهِ امْرُؤٌ
عَدُوٌّ تَبَدَّى في ثيابِ خليلِ
وشرٌّ عواديهِ حَسودٌ مُكابِرٌ
وَنَحْسٌ يُلاقِيهِ بِكُلِّ سَبِيلِ

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. وليتني لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

رحم الله من أهدى إليّ عيوبي

قال لي: انصحني بارك الله فيك، ولا تتردد مطلقاً. ورحم الله من أهدى إليّ عيوبي في السر ولم يفضحني.

قلت له بعفوية: كأنك تقرأ عيني، تعلم أنني أحبك، ولكن..

قال غاضباً: لا تكمل لا تكمل.. قد ظهرت على حقيقتك.. يا للأسف.. لم أتوقعك حقوداً وتبطن الكره لي!

واجهته حينما كبرت، وقال لي: لا زلت في ضلالك القديم؟

قلت: معاذ الله، تعلم أن الصغار يخطئون أخطاء جسيمة، وعفا الله عما سلف، وتبين لي مع مرور الوقت أنك حكيم ولا تفعل أي شيء إلا لمصلحة.. وإن وقعت في حرام أو شبهة، فلعل لك عذراً ونحن نلوم. وسامحني عما بدر مني قديماً، فقد كنت صغيراً.

ضحك قائلاً: الآن فهمت الحياة.

انصرفت وقلت في نفسي: عندما كنت صغيراً كنت على الفطرة.. كنت رجلاً.. كبرت فصرت لا أعرف من الرجولة إلا اسمها لا رسمها. أستودعكم الله أخلاقي ومبادئ!

حكمة: كثير من يتكلم وقليل من يعمل! قال الشاعر التونسي

محمد بو شريبة:

المُصلِحُونَ كَثِيرٌ فِي مَوْطِنِنَا
لَكِنْ قَلِيلٌ إِذَا نُودُوا إِلَى الشُّغْلِ
إِنْ قِيلَ قَوْلٌ تَبَارَتْ فِيهِ السُّنَنُ
أَوْ قِيلَ فَعَلْ دَعَاهُمْ عَامِلُ الْكَسَلِ
لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَلَا فِيمَا بِهِ نَطَقُوا
حَتَّى يُقَارَنَ مَا قَالُوهُ بِالْعَمَلِ

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. وليتني لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

شهادة الزور

مدير العمل كان يعطي معلومات مغلوبة في قاعة الاجتماعات، وكنت أظنه متوهمًا، حتى تبين لي بعد هذا الموقف أنه كان يكذب عن عمد، فقلت له بعفوية: أليس الصحيح كذا وكذا؟ احمر وجهه قائلاً: أنت تعلمني عملي؟ أنت موظف صغير لم تصل إلى عُشر خبرتي، ولا زلت صغيراً.

استشرت صديقاً، وكما يقولون: «ما خاب من استشار»، ونصحتني أن أكون مرناً، فقلت له: تريدني أن أكذب؟

- يا ابن الحلال، كلمة باطل تجبر الخاطر.

مرت الأيام وكبرت.. وبدأت أكذب الكذبة تلو الكذبة، وصرت أشهد على صحة ما يقوله المدير مطلقاً وإن كان باطلاً، وأقول في نفسي: «مين يقدر يقول للغولة يا غولة عينك حمرا»؟⁽¹⁾

قال لي المدير ذات يوم: كأنك كبرت وعقلت؟

- الحمد لله، وسامحني على ماضيي الأسود، فقد كنتُ صغيراً.

(1) مثل مصري. مين: من. غولة: وردت فيها أحاديث صحيحة، لكن بعض العامة اعتقدت فيها اعتقادات باطلة، وللمزيد يُنظر كتاب (الغول بين الحديث النبوي والموروث الشعبي) للشيخ مشهور حسن. معنى المثل: من يستطيع أن يتجرأ على من عنده سلطة فيقول له أنه مخطئ؟ يضرب في عدم القدرة على الإنكار على صاحب سلطة أو مكانة اجتماعية في المجتمع.

حكمة: قد يثقل عليك خسارة الأصحاب المنافقين، لكن لا تأسفنّ على ذلك أبداً! ففي الناس أبدالٌ وفي الترك راحةٌ. قال الشاعر التونسي محمد بو شريّة:

لا تأسفنّ على خليلٍ لم يشأْ
إلا فراقك خلةً وخليلاً
وأسف على زمنٍ تقضى صفوه
في ودّه فغدا عليك ثقيلاً
إنّ الذي فرضَ الفراقَ لقادرٌ
أن يستعيضَ به أخا وبديلاً

سامحني.. فقد كنت صغيراً.. وليتني لا زلت صغيراً ولم أفهم عجائب الحياة!

خاتمة «سامحني كنت صغيراً»

اللهم إنا نسألك توبة من عندك، وأن تردنا إليك رداً جميلاً، وأن
تغفر لنا خطايانا، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

قال الشاعر الكويتي عيسى مطر رحمه الله (ولد 1910م):

يا من رفعتُ إليه بالدعاء يدي

أشكو إليك ولا أشكو إلى أحد

انظر إليّ بعطف منك يسعدني

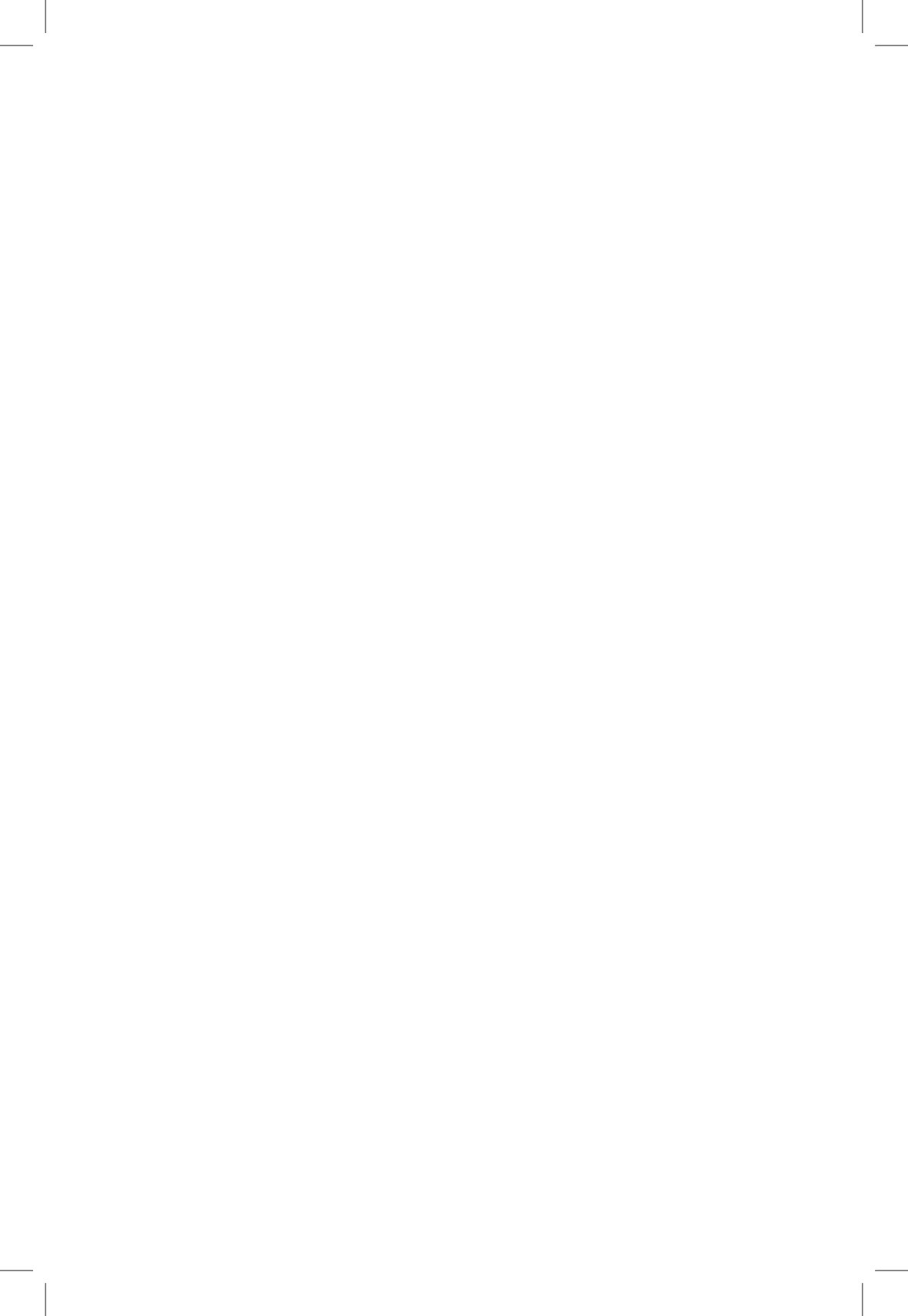
فأنت أشفق من أمّ على ولد⁽¹⁾

(1) أدباء الكويت في قرنين، المجلد الثاني، ص. 38.





لم يعلم
أني أقصد!



مقدمة

هذه خواطر في عدم فهم مراد بعض الردود من بعضنا بعضاً في حياتنا اليومية، وفي كثير من ردودنا غوامض مما تستوجب إساءة الظن في قائله. والملاحظ أن الردود الغامضة لها هدف واحد فيما يظهر؛ وهو أن يكون الهدف من عدم التصريح إغاضة الحاقد أو الحاسد.

وبعض الردود ليست غامضة، وإنما يقاطعه الآخر ولا يدعه يكمل فيخرج الكلام مخرج الغموض مما يُبنى عليه إساءة الظن. وهذا ناتج عن التسرع وعدم الاستفسار عن قصد الراد، أو عدم انتظاره حتى ينتهي من جملته.

في هذه الخواطر سنفهم المزيد حول ذلك!

سبني فرددت مرة وسكتُّ مرات

سبني النذل وسكتُّ عنه، فظن أنني لا أملك الجواب، ولم يدِرْ أنني
أعمل بالمثل: «إن سبك النذل اسكت عنه وارتحل».

نعم.. سبني وسكتُّ فظن أن سكوتي علامة الرضا وأن كلامه حق،
ولم يعلم أنه إذا جادلته فالناس سيخطئون في التفريق بيننا! وفي هذا
قال الشاعر:

إذا جاريت في خُلُقٍ دنيئاً

فأنت ومن تجاربه سواءُ

وتارات أخرى كنت أفرح حينما يسبني، وما هو إلا من باب قول المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ

فهي الشهادة لي بأني كاملُ

وتارات أخرى حينما سبني كنت أرد عليه بجفوة، وظن أنني فعلت
ذلك كرهاً فيه، وأنه شعور متبادل مع شعوره، ولم يعلم أنني لا أضمر
في نفسي كرهاً له؛ وإنما فعلت ذلك فراراً من أذاه، وفراراً من تسلط
غيره علي بأن يرانا ثالث معنا فيتعامل معي بطريقته.

وما أجمل قول الشاعر الشيخ صقر القاسمي:

وكم شاتمٍ عرضي سَكْتُ كرامةً

لنفسي عنه فاستغلَّ سُكوتي

أقولُ لنفسي كلما جَاشَ غَيظُها
مكانكِ هذا مركبُ الحِلْمِ أو مُوتي
أرى الحِلْمَ لم يندمَ على الدهرِ ربُّه
وكم من سفيةٍ ما هُني بمبيتِ
إذا لم أسدُ قومي بحلمي وخبرتي
وصبري فلا نالَ العُلا جبروتي

سرقني فتغافلتُ عنه

سرقني وتغافلت عن فعلته، ولم يعلم أنني علمت بذلك، لكنني تجاهلتُ لسبيين:
أولاً: لئلا أخرجهُ.

ثانياً: لما قالوا في المثل: (إذا بدك تستريح أيش ما تشوف قول عنه منيح).⁽¹⁾

الاستعجال وسوء الظن

استعجل أمرًا وليس بيدي إنجاز طلبه، ولم يدرك أن ليس باليد حيلة. فقلت له: (انتظر وستُفرج إن شاء الله.. قالوا للديك صيح، قال كل شي بأوانه مليح). فذهب يتكلم بين الناس أنني لا أرغب بمساعدته، ولم يعلم أنني أقصد قول الشاعر:

(1) أيش: أي شيء. قول: قل. منيح: حسن. معنى المثل: إذا أردت أن ترتاح فأني شيء تراه قل عنه حسن. يضرب للتغافل.

قد يدرك المتأني بعضَ حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلُّ

التهنئة عند الشدائد

هتأته على صبره في الشدائد، فظن أني أسخر منه أو أشمتُ به،
ولم يعلم أن تهنئتي له من باب: «الشدائد تصنع الرجال».

بشّره أن لن يسود

كان يكره الخير للغير؛ فبشّره أنه لن يسود، فظن أني أحسده، ولم
يعلم أني أقصد «الحسود لن يسود».

السباق إلى الشكوى

اشتكى علي عند مسؤولي فعاقبني مسؤولي لما سمعه عني، ولم
يعلم أنه ضربني وبكى سبقني واشتكى.

والأغرب من ذلك أن من عاقبني كان دائماً يقول: ستسمعون عني
أشياء، فإياكم أن تصدقوها.. وإنما تعالوا واسألوني.. فاسمعوا مني
ولا تسمعوا عني!

حبذا لو سمعت أنت مني ولم تسمع عني .. فليس من العدل سرعة
العدل.

قال الشاعر:

ولا تحكم على شخص إذا لم
تعامله ودع قول الأنام
فإنَّ الناسَ قد تُعلي وضيعاً
وتُزري بالأعزَّة والكرام

البكاء في العزاء

كان أشد الناس بكاءً في العزاء، ولم يعلم أهل الميت أن الباكي قتل
القتيل ومشى في جنازته! والحقيقة أنه لم يكن يبكي حزناً، وإنما كان
يبكي من الفرح! يا لعجائب الدنيا!

اللوم قبل الاستفسار

رأى ثقباً في الحائط فلعن المسمار، ولم يعلم أن المسمار كان مكرهاً..
فلو سُئل المسمار: أيش⁽¹⁾ حادك يالمسمار؟ لأجاب: المطرقة.
وهكذا فعل معي .. لامني قبل السؤال والاستفسار.

(1) أيش اختصار لكلمة: أي شيء.

فضح أمره بنفسه

انكشف على حقيقته، فظن أن هناك جاسوسًا يتبعه، وبدأ يصيح:
من الجاسوس؟ من الجاسوس؟ ولم يعلم أن «اللي يشرب لبن بالزبدية
يبان على شواربو».⁽¹⁾

شراء أشياء رخيصة

نصحته ألا يشتري أشياء رخيصة دائمًا، فأحيانًا «الشيء الغالي
سعره فيه»، لكنه ظن أنني أحسده على ذكائه، ولم يعلم أنني أقصد أن
«الرخيص مخيس، ويا مسترخص اللحم عند المرق تندم».

ردده عند طلب المساعدة

كان محتاجًا للمساعدة في شيء صغير مقدور عليه، ولكنني لم أساعده،
فظن أن لا خير فيّ، ولم يعلم أنني أردت أن يكافح ويصل إلى الهدف
بنفسه، فالحاجة أم الاختراع، وعلى المرء أن يكون عصاميًا لا عظاميًا.

غير المتوقع

جاءني بشخص ليفرحني ولكنه أحزني؛ وذلك بسبب رؤيته
للأمور من زاوية واحدة وليس عنده بعد نظر، ولم يعلم أن الحكم على
الشيء فرع عن تصويره.

(1) مثل شامي. بيان: سيظهر. شواربو: شواربه. معنى المثل: من يفضح نفسه فقد
أغنانا عن مشقة البحث والتحري عن الدليل. يضرب لمن يكشف نفسه بنفسه.

وصدق من قال: «جاء الأقرع يضحكني كشف راسه وخرعني».

الزواج من غير الكفو

منعه من الزواج ممن يحب، فظن أنه لا يريد له الخير، ولم يعلم أن
«اللي يتجوز من غير ملتو يموت بعلتو».

الهروب عن مواطن الأذى

هربت من القط، فضحك صاحبي وظن أني جبان، ولم يعلم أني
لست مستعداً لتحمل أذاه، فقد قالوا «اللي يلعب مع القط بدو يتحمل
خراميشه».

قال الشاعر غازي القصيبي رحمه الله:

هذي المعاركُ لستُ أحسنُ خوضَها

مَن ذا يحاربُ والغريمُ الثعلبُ

رد الهدية

أعطاني بستاناً كبيراً موحشاً، ولكني تخلّيت عنه، فظن أنه لم
يعجبني، ولم يعلم أن «البستان من دون ناس ما ينداس».

أكل طعامي من دون توقف

أكل من طعامي ومالي من دون شبع وبحضوري، ولم أظهر
الاندهاش من فعله، ولم يعلم أنني أعلم أن «اللي بياكل من زوادة غيره
ما يشبع».

التحليق في السماء

أخبرني عن حلمه في حب الطيران إلى السماء من دون الرجوع
إلى الأرض، فلم أشجعه، وطلبت منه أن يحلم بشيء نافع وأن يكون
معقولاً، حتى يتدرج فيه شيئاً فشيئاً. غضب مني ولم يكلمني بعدها،
ولم يعلم أنني أقصد أن «ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع»!

الشكر عند الإساءة

أساء لي، فقلت له: شكراً، فظن أنه على حق ولم يعلم أنني شكرته
على حقيقته. وفي ذلك قال الشافعي:

جزى الله الشدائد كل خير

وإن كانت تغصصني بريقي

وما شكري لها حمداً، ولكن

عرفت بها عدوي من صديقي

شديد على أصدقائه ولين مع أعدائه

كان شديداً عليّ في الباطل؛ فقلت له حقاً إنك أسد، ففرح وذهب يتكلم بين الناس أن فلاناً يقر أنني أسد. ولم يعلم أنني كنت أقصد بأنه: «أسد عليّ وفي الحروب نعامة».

قال الشاعر:

وَإِخْوَانٍ حَسَبْتَهُمْ دُرُوعًا
فَكَانُوا وَلَكِن لِّلْأَعَادِي

وقال الشاعر التونسي محمد بو شريّة:

أَهْوَاءِ هُمْ مَن كُنْتُ أَذْخِرُهُمْ
لِلنَّائِبَاتِ وَمَن سَمَّيْتُ إِخْوَانَا
لَا يَرْتَضُونَ سِوَى عَيْبِي وَمَنْقِصَتِي
وَيَبْتَغُونَ شَقَائِي أَيُّنَمَا كَانَا
رَحْمَاكَ يَا خَلَّةَ جَرَّتْ عَلَيَّ كَبْدِي
مِصَائِبَا جَرَّعْتَنِي السَّمَّ أَلْوَانَا

الاتهام بالرياء

أردت المساهمة في عمل خير فاتهمني الحسود أنني مرءٍ، وقال: خير الأعمال ما كان في الخفاء،⁽¹⁾ فذهب يتكلم عني بين الناس في ذلك، فسكتُ وابتسمتُ له، ولم يدرِ أنني تذكرت قول الشاعر:

وإذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ
طويتُ، أتاح لها لسان حسود

معرفة الصاحب من العدو وقت المحن

أحرق مصنعه، فقلت له: الآن عرفت الحق، وظن أنني أشمت به، ولم يدر أنني أقصد أن وقت المصائب تعرف الصديق من العدو. قال أبو تمام:

ولولا اشتعالُ النارِ فيما جاوَرَتِ
ما كان يُعرفُ طيبُ عَرَفِ العود

(1) الأصل أن يخفي المرء أعماله الصالحة إلا لمصلحة، كتشجيع الآخرين، أو في حال لا بد من إظهاره ويمنع إخفائه، ونحوه. قال الله تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَنُؤْتُوهَا أَلْفُفْرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَعِيَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 271].

تفضيل الذئب على من لبس الثياب

سمعت صوت الذئب وفرحت، فظن أني مجنون، ولم يدر أنه أحياناً يكون تفضيل الذئب على كثير ممن لبس الثياب. ولم يدر أن بقاءه هو في حياتي أشد فتنة من ظهور الذئب. قال الشاعر:

عوى الذئب فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى
وصوتَ إنسانٍ فكدتُ أطيّرُ

اتهمني أني أهبِل

قال عني أهبِل، ولم يعلم أن «العايز أهبِل»، فأحياناً تضطر أن تكون هكذا كي تعيش حياة مريحة من دون أن يحقد عليك أحد. قالوا في المثل: «اعمل نفسك أهبِل تعيش». ولم يعلم أنه قد يكون في موقفٍ يوماً ما، فيوم لك ويوم عليك، ومن سرّه زمن ساءته أزمان.

اترك حبيك على هواه

أهانني، وقال لي: لا حاجة لي بك بعد اليوم.. قلت له: على هواك.. قال: طبعاً على هواي.. وقد رجعت إليّ في يوم لاحق، وكنت أعلم أنه سيرجع، لكنه لم يعلم أنني كنت أقصد بردي ذلك أنه: «سبب حبيك على هواه، ولما يجي أديله على قفاه»⁽¹⁾.

عالم أم جاهل؟

اتهمني بأني جاهل، فقلت له: «نعم، وأنت عالم». طار فرحاً ولم يترك إنساناً أو جماداً حتى قال له قولي، ولم يعلم أنني أقصد مقولةً تُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (من قال أنا عالم فهو جاهل).

وهذا أفضل حل مع المتعالم، كما قال الشاعر:

ولما رأيتُ الجهلَ في الناسِ فاشياً
تجاهلتُ حتى ظنّ أني جاهلٌ

(1) سبب: اترك. أديله: أعطه. معنى المثل: اترك صاحبك حتى يعرف قدرك ويرجع لك. يضرب تسليّة لمن فقد صديقاً، أو ربما يُضرب تهديداً، والمثل يُضرب حسب الموقف وسياق الكلام.

العيب مني

قال: العيب منك، فقلت: نعم، ولم يعلم أنني أقصد أن: «العيب من أهل العيب ما هو عيب».

قل للمجادل: كلامك صحيح

أعطاني معلومة خاطئة، فقلت له: (كلامك صحيح)، مع علمي ببطلانه، وما اضطرني لذلك حبه للجدل العقيم، ولم يعلم أنني أقصد: «إذا بدك تستريح أيش ما تشوف قول عنه منيح».

الغلظة على الولد

وغلّظت على ولدي لأنني لم أرد له إلا الخير، فظن أنني بالغت، لكنه لم يعلم أن «اللي ما يربيه أبوه الزمن يربيه»، ولا أريد ذلك أن يحصل؛ لأن تربية الزمن أفسى بكثير!

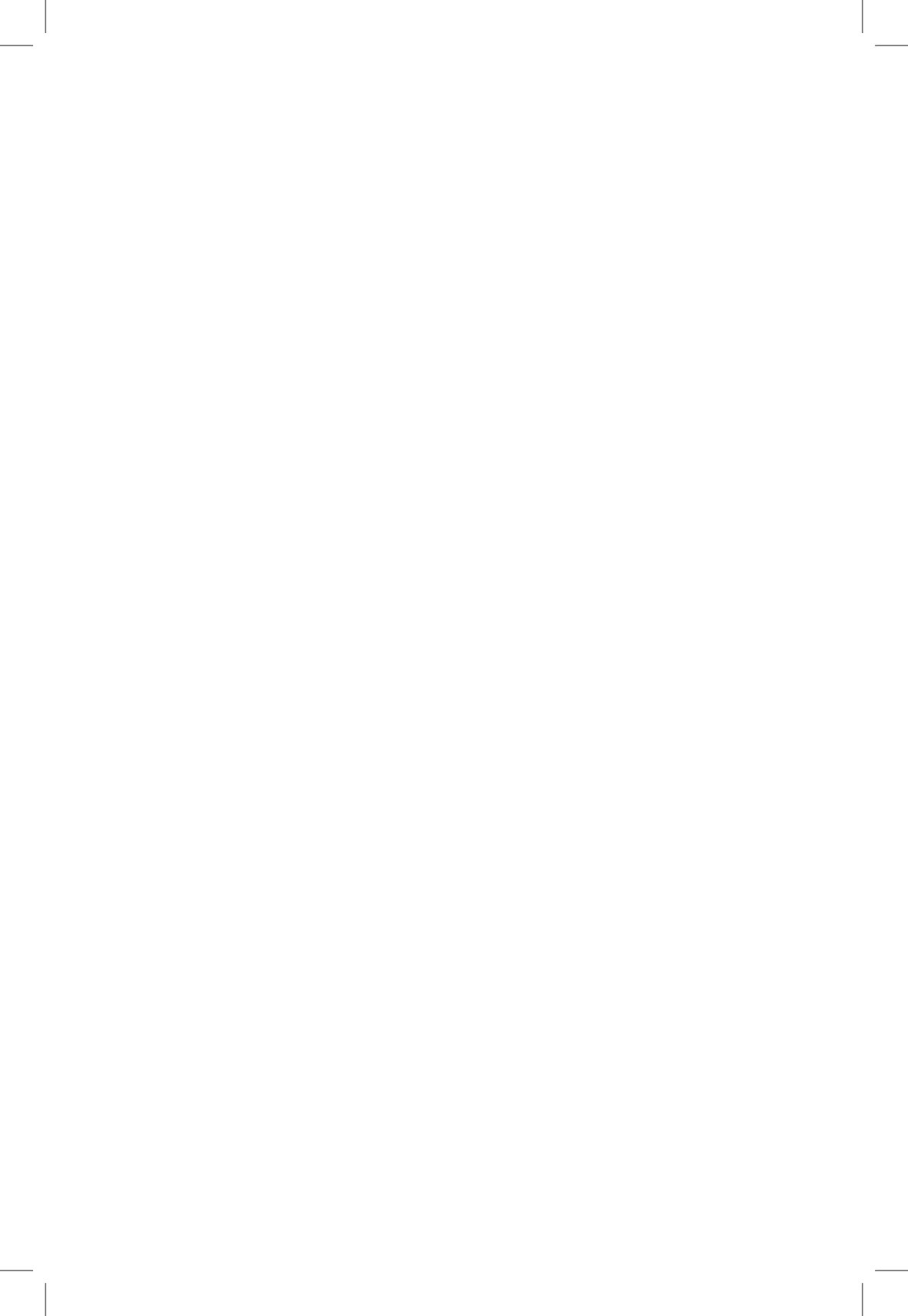
الغلظة على الحفيد

غلّظ على الحفيد، فظن ابنه أنه يكرهه، ولم يدر أن ليس أعز من الولد إلا ولد الولد.



الخاتمة

اللهم أقل عثراتنا، واغفر زلاتنا، وكفر عنا سيئاتنا. فكم أتمنى أن
تنشأ أجيال بترك مجمل الكلام، ويحققوا ما قد قصرنا فيه.
قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: 53].



خاتمة الكتاب

تخيل أن التناقضات المذكورة في خاطرة (هكذا علموني وهكذا يفعلون) لو اجتمعت في شخص؛ كيف سيكون حاله في مجتمعه؟ وكيف سيكون ردة أفعال الناس معه؟ وما النتيجة من هذه التصرفات كلها؟ وتخيل معي شخصًا عاش مع ناس متناقضين؛ يوظفون الفضيلة في مصالحهم، وقد يقبلون الفضائل إلى رذائل في حق من يكرهونه. كيف سيكون حال من تعامل معه بهذه الطريقة؟ بل كيف سيكون حاله إذا تم معاملته بهذه الطريقة في بيته الذي فيه راحته وسكينته؟ واعلم أنه يزداد يأسًا من الحياة إن تمت معاملته بهذه الطريقة في عمله أيضًا، وبين أصحابه خارج نطاق العمل. ومن هنا نفهم لماذا تختفي الطمأنينة في حياتنا، وتكثر الأمراض النفسية.

أما في خاطرة (سامحني كنت صغيرًا) أظهرت لنا صدق وإخلاص المرء الذي يتقرب إلى الله بالفضائل، ثم تغيرت مبادئه لمواكبة محيطه ومجاملة أهل بيته، ولا يزال ضميره يؤنبه. وهنا بشاره؛ من كان ضميره يؤنبه عند الخطأ، فهذا لا يزال على خير -نسيًا-، وأقرب للانقياد إلى الحق بالأقوال والأفعال في يوم ما، بخلاف من مات ضميره ولا يحرك ساكنًا في المواقف المذكورة في الخواطر.

وفي الخاطرة الأخيرة (لم يعلم أنني أقصد) تظهر فساد المعنى لمن لا يدع المتكلم من إنهاء كلامه، فلا شك أن عدم إكمال الكلام يعطي معنى سيئًا. وأحيانًا الكلام المجمل، وأعني بالمجمل ما احتمال معنيين:

أحدهما حق والآخر باطل، قد يغلب المخاطب جانب إساءة الظن مما يسبب عداوات وبغضاء.

وأخيراً؛ أرجو أن يكون هذا العمل ممتعاً في قراءته، وشاحداً لهمة القارئ للقول التي هي أحسن، والعمل في ما يُرضي الرب جلّ وعلا.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
7	مقدمة الكتاب
11	مقدمة هكذا علموني وهكذا يفعلون
13	حقيقة الناس
15	الشكوى ومساعدة الآخرين
20	القناعة
24	العمل
25	حب الظهور والسلطة
28	الحيلة
31	عذر الناس
35	الحسد
38	التخصص
40	العنصرية
42	الأنانية
45	النذالة والوقاحة

الصفحة	الموضوع
52	الحقارة
57	النفاق
62	المواعيد وأقدار الله
64	الصحبة والتعامل
67	الكلام والسكوت
69	تناقضات متفرقة
73	خاتمة هكذا علموني وهكذا يفعلون
79	مقدمة سامحني كتب صغيراً
81	السرقه
83	الجلوس مع المفسدين
85	الرشاوي
87	السب والتطاول
89	التدخل بين اثنين
91	النمّام
93	أخذتُ مكان غيري

الصفحة	الموضوع
95	الانتقام الخاطيء
97	رحم الله من أهدي إليّ عيوبي
99	شهادة الزور
101	خاتمة «سامحني كنت صغيراً»
105	مقدمة لم يعلم أنني أقصد
106	سبّني فرددت مرة وسكّت مرات
107	سرقني فتغافلتُ عنه
107	الاستعجال وسوء الظن
108	التهنئة عند الشدائد
108	بشّرته أن لن يسود
108	السباق إلى الشكوى
109	البكاء في العزاء
109	اللوم قبل الاستفسار
110	فضح أمره بنفسه
110	شراء أشياء رخيصة

الصفحة	الموضوع
110	رددته عند طلب المساعدة
110	غير المتوقع
111	الزواج من غير الكفو
111	الهروب عن مواطن الأذى
111	رد الهدية
112	أكل طعامي من دون توقف
112	التحليق في السماء
112	الشكر عند الإساءة
113	شديد على أصدقائه ولين مع أعدائه
114	الاتهام بالرياء
114	معرفة الصاحب من العدو وقت المحن
115	تفضيل الذئب على من لبس الثياب
115	اتهمني أني أهبل
116	اترك حبيبي على هواه
116	عالم أم جاهل

الصفحة	الموضوع
117	العيب مني
117	قل للمجادل: كلامك صحيح
117	الغلظة على الولد
117	الغلظة على الحفيد
119	خاتمة لم يعلم أنني أقصد
121	خاتمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ